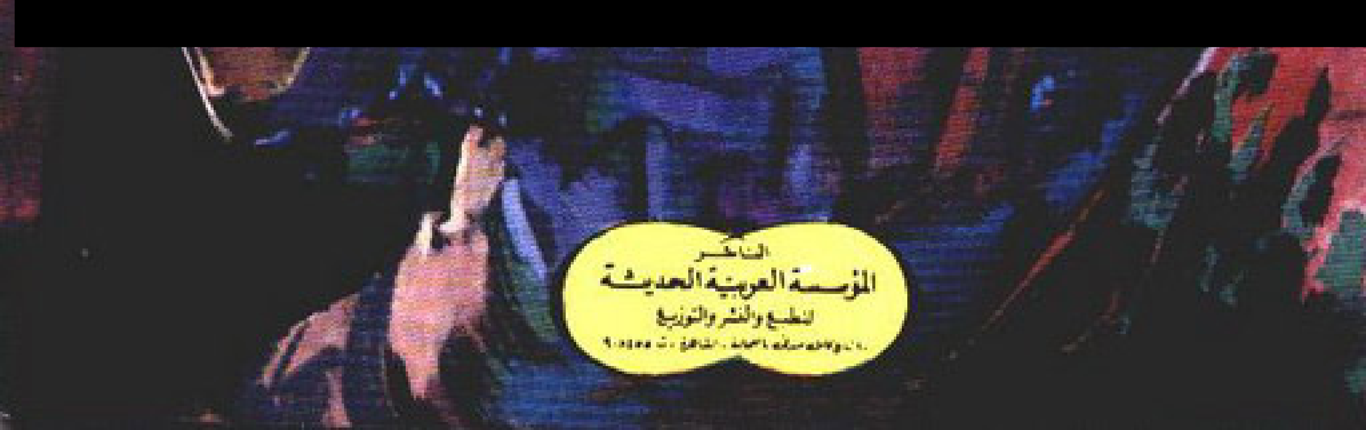
روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

أسوار الجحيم

٧٥



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ تحرُّكات ديبلوماسية ..

بدأ ذلك اليوم ، من أيام منتصف الصيف ، بشمس مُشرقة ، ألقت ضوءها وحرارتها على (القاهرة) ، على نحو دفع نصف السُّكان إلى القُبوع فى منازلهم ، خلف هواء المراوح ، خاصَّةً وأن اليوم كان يوافق الإجازة الأسبوعية ، لأكثر من نصف السُّكان تقريبًا ..

ولكن هناك ، فى قلب (القاهرة) ، كان هناك بشر يعملون فى دأب ، دون أن يعرفوا ما الذى تعنيه كلمة إجازة ، مهما بلغ سوء الأحوال المناخية ..

رجال يعملون تحت لهيب الصيف ، وثلج الشتاء ..

وفى الثانية عشرة ظهرًا ، وعندما بلغت الحرارة ذِرْوَتها ، وخلت الشوارع من المارَّة تقريبًا ، كانت هناك سيارة مصرية الصُّنع ، عاديَّة الطِّراز ، تعبرُ ميدان التحرير ، فى قلب (القاهرة) ، فى طريقها إلى مبنى وزارة الخارجية المصرية ..

ولقد اكتفى حرَّاس مبنى وزارة الخارجية بإلقاء نظرة سريعة على بطاقة سائقها ، ثم أفسحوا الطريق أمام السيَّارة ، التى

توقّفت فى الفناء ، وهبط منها سائقها مسرعًا ، وفتح بابها الخلفى ، فهبط عَبْرَه رجل وقور ، مَهيب الطّلْعة ، اتجه فى خطوات هادئة إلى مبنى الوزارة ، وسرعان ما أقلّه المِصْعَد إلى ذلك الطابق ، الذى يضمّ حجرة وزير الخارجية ، الذى استقبل الرجل فى تَرْحاب قائلًا :

ــ مرحبًا بك يا سيادة اللواء .. مرحبًا .. ما رأيك فى تناول مشروبٍ مثلج فى البداية ؟

غمغم الرجل فى احترام :

ــ فلنؤجّله لما بعدُ يا سيادة الوزير ، فأنا أتلهّف شوقًا ، لمعرفة سِرّ طلبك مقابلتى ، على هذا النحو العاجل .

ابتسم الوزير ابتسامة هادئة ، لم تنجح فى إخفاء ذلك القلق الذى يملؤه، وقال وهو يجلس خلف مكتبه :

ــ خيرًا بإذن الله .

استقرّ فى مجلسه صامتًا ، وشبّك أصابع كفّيْه أمام وجهه ، وبدا متردّدًا فى البحث عن بداية للحديث ، ولكن مدير المخابرات ، بما جُبل عليه من صَبْر وغُموض ، لم ينبس ببنتِ شَفَة ، ولم يتعجّل الوزير لحظة واحدة ، طَوال دَقيقتين كاملتين ، لاذ خلالهما الوزير بالصمت ، قبل أن يقول :

ــ كلانا يعلم أن العادة قد جرت على تنسيق العمل بين الخارجية والمخابرات .. أليس كذلك ؟

أجابه مدير المخابرات فى هدوء :

ــ هذا يتوقّف على مدى السرّية المفروض توافرها فى العمل .

بدا و كأن هذا الجواب لم يرُق لوزير الخارجية ، الذى عقد حاجبيه ، مغمغمًا فى ضيق :

ــ ولكن من الضرورىّ أن يتمّ التنسيق على نحو ما ، فأعمال المخابرات غير المدروسة سياسيًا ، قد تؤدّى إلى أزمات دبلوماسية خطيرة ، مما يحتمل معه وصول الأمر إلى إعلان الحرب ، ......

قاطعه مدير المخابرات فى اهتمام :

ــ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننى لست أظنّ هذا النقاش هو سبب طلبك مقابلتى على هذا النحو .

مطّ وزير الخارجية شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ إنه يرتبط به على نحو ما .

ثم اعتدل ، وسأل مدير المخابرات فى لهجة حازمة :

ــ هل تقومون بعمل ما فى (تايوان) ؟..

كان السؤال مفاجئًا حقًّا لمدير المخابرات ، إلا أنه احتفظ بدهشته فى أعماقه ، واحتفظ بملامحه هادئة جامدة ، وهو يقول :

ـ تقريبًا .

مرّة أخرى بدا وكأن الجواب لا يروق لوزير الخارجية على الإطلاق ، إذ قال فى حِدّة واضحة :

ـ بمعنى أكثر دِقَّة .. أهناك رجل وفتاة يقومان بعملية لحساب المخابرات المصرية فى (تايوان) ؟

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا هناك بالضبط يا سيادة الوزير ؟

صاح الوزير فى عصبيّة :

ـ كارثة .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وراح يسير فى أرجاء حجرة مكتبه فى حِدّة ، وهو يلوّح بذراعه فى غضب واضح .. مستطردًا :

ـ أنت تعلم أن (تايوان) ليست جزيرة مستقلّة بالمعنى المعروف ، وأنها تخضع لإدارة أجنبية ، تسعى جاهدة لتحويلها إلى قلعة اقتصادية ، مناهضة لـ (اليابان) ، وعلى الرغم

من ذلك ، فلقد سعينا طويلًا لنقيم علاقات ديبلوماسية مع (تايوان) ، ونجحنا أخيرًا فى أن تكون لنا قنصلية فى عاصمتها (تايبه) ، ومنتهى أملنا هو أن نحتفظ بعلاقات جيِّدة مع الجزيرة ، تتيح لنا تحويل القنصلية إلى سفارة معتمدة فى القريب العاجل .. وعلى الرغم من جهودنا تلك ، يُقدم رجالك فجأة على أعمال عنيفة ، تهدِّد بقطع علاقتنا مع (تايوان) نهائيًّا .

استمع إليه مدير المخابرات فى هدوء ، وقفز ذهنه إلى الخلف ..

إلى يومين أو ثلاثة أيام سابقة ، حين علم باختفاء ابنه ، رجل المخابرات (خالد) ، فى (تايوان) ، فى أثناء تعقُّبه رجل مخابرات أمريكيًّا سابقًا ، مشتبهًا فى أمره ، يُدعى (هنرى كلارك) ، فاستدعى (أدهم صبرى) ، وطلب منه السفر مباشرةً إلى (تايبه) لتعقُّب الأمر ..

وسافر (أدهم) و (منى) على الفوْر ..

وفى (تايوان) ، واجهتهما صعوبات مخيفة ، كشفت لهما أن (هنرى كلارك) يحتلّ منصب رئيس شرطة (تايبه) ، ويعاونه فى جرائمه (فرديناند كال) حاكم المدينة نفسه ، وعضو أخطر منظمة اقتصادية إجرامية عرفها التاريخ ..

وألقى القبض على (أدهم) و (منى) ، بواسطة رجال الشرطة التايوانية ، ولكنهما نجحا فى الفرار ، وطاردتهما سيّارات الشرطة ، حتى اختفيا وسط أحراش (تايوان) ..

وهناك افترقا ..

وبعد مطاردة مثيرة بالهليوكوبتر ، نجح (أدهم) فى الإيقاع بـ(هنرى كلارك) ، ثم قتله زميله (كال) ، قبل أن يحصل منه (أدهم) على المعلومات اللازمة ..

ثم وقع (أدهم) فى قبضة الجنرال (أندريه) ، الذى نقله إلى معتقله الرهيب ، المحاط بدائرة جهنمية من المستنقعات والأحراش ، التى لم ينج منها أحد من قبل ..

أما (منى) فقد نجحت فى الوصول إلى القنصلية المصرية ، وأرسلت برقية بكل تلك التفاصيل إلى إدارة المخابرات العامة المصرية(*) .

كان هذا كل ما يعلمه مدير المخابرات عن الأمر ..

أما ما لم يكن يعلمه ، فقد كان أكثر خطورة ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (المعتقل الرهيب) .. المغامرة رقم (٧٣) .

لقد عثر (أدهم) على (خالد) فى معتقل (أندريه) ، وعلم منه أن تلك المنظمة الشيطانية تقوم بطبع أوراق النقد المصرية ، وتطرحها فى (مصر) ، وتبتاع بها كميات هائلة من الدولارات ، لتهبط بقيمة العملة ، وتحطّم الاقتصاد المصرى تمامًا ..

ولقد قاتل (أدهم) و (خالد) فى شراسة ، للفرار من معتقل (أندريه) الرهيب ، فى محاولة لإبلاغ الأمر إلى السلطات المصرية ، للعمل على تفادى الكارثة ..

وفى نفس الوقت كانت (منى) تبذل جهدها لدى القنصل المصرىّ ، لنقل الأمر إلى السلطات المصريّة بدوْره ..

ونجح (أدهم) و (خالد) فى الفرار من المعتقل الرهيب ، بواسطة هليوكوبتر ، أصابها رجال (أندريه) ، فسقطت بهما وسط (الدائرة الجهنمية) ، التى تحيط بالمعتقل ..

ومع تلك الأحداث ، كان الملحق العسكرىّ للقنصلية قد اشترك مع (منى) فى عملية بحث عن (أدهم) ، بعد أن علم بمصادره الخاصة أنه قد تم نقله إلى معتقل (أندريه) ..

وفى خِضَمّ تلك الصراعات ، التوى كاحل (خالد) ،

وفقد وعيه ، على حين سقط (أدهم) فى بركة من الرمال المتحرِّكة ، وراح يغوص فيها ..

ويغوص ..

ويغوص (*) ..

أفاق مدير المخابرات المصرية من أفكاره ، على صوت وزير الخارجية ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ صحيح أن الأمر ، الذى أخبَرَت به فتاتكم قنصلنا ، هو أمر بالغ الخطورة ، إلا أنها لا تملك دليلًا واحدًا عليه ، والمطبعة النقدية ، التى تدَّعى وجودها ، تقع فى قلب منطقة السِّيادة التايوانية ، فماذا تفعل لو كنت مكانى ؟

أجابه مدير المخابرات فى هدوء حازم :

ـ أرسل فرقة لتنسف هذا المعتقل نسفًا .

حدَّق وزير الخارجية فى وجهه بدهشة ، وهتف فى سخط :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. الأمور الدولية لا تحلّ بتلك الوسائل البربرية يا سيادة اللواء .. إن أقصى ما يمكننا فعله هو أن نجرىَ اتصالات ديلوماسية واسعة ، و .....

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثانى (الدائرة الجهنمية) .. المغامرة رقم (٧٤) .

نهض مدير المخابرات بغتة ، وهو يقول فى صلابة :

ـ افعل ما يحلو لك يا سيادة الوزير .

تطلَّع إليه الوزير فى دهشة ، ثم سأله فى توتُّر :

ـ هل أقنعتك وُجهة نظرى ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كلَّا بالتأكيد .

فغر وزير الخارجية فاه فى دهشة واستنكار ، فأضاف مدير المخابرات فى حزم :

ـ من الواضح أن طريقينا يختلفان تمامًا يا سيادة الوزير ، فأنت تؤمن بحتمية التحرُّكات الديلوماسية ، وأنا أومن بضرورة الحل الحاسم السريع ، قبل أن ينهار اقتصادنا .

هتف وزير الخارجية فى عصبيَّة شديدة :

ـ إننى أحذِّرك ..

قاطعه مدير المخابرات ، وهو يبتسم فى هدوء :

ـ لا داعى يا سيادة الوزير ، إننى لن آمر رجالى بجديد ، فرجلنا فى (تايوان) ، (أدهم صبرى) لن ينتظر تلك الأوامر ، فما إن يعلم بما يتهدَّد اقتصاد بلاده ، حتى يتحرَّك

على الفور ، ولن يتراجع حتى ينتهى ذلك الخطر ، حتى ولو أدّى به الأمر إلى نسف (تايوان) كلها .

ففغر وزير الخارجية فاه فى ذُهول ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. لذا فقد أرسلت (أدهم صبرى) .. أرسلت (رجل المستحيل) ..

* * *



٢ ـ الموت المتحرِّك ..

كان موقف (أدهم) عسيرًا حقًّا هذه المرَّة ..

كان يغوص فى بركة من الرمال الناعمة ، تجتذبه يد الموت إلى قرارها فى عنف ، ودون هَوادة ، وزميله (خالد) على قيد أمتار منه ، فاقد الوعى ، و (أندريه) ورجاله يقتربون من موقعه حثيثًا ، ويستعدُّون لنيله ، إذا ما وقعت عيونهم عليه ..

والأدهَى أنه لا يملك سلاحًا ..

لا يملك أيّة أسلحة على الإطلاق ..

ولكن (أدهم صبرى) لم يكن أبدًا بالرجل الذى يستسلم للموت ، أيًّا كانت الصعوبات التى تحيط به ..

لقد أخذ عقله ، على الرغم من دِقة وخطورة موقفه ، يعمل فى رَوِيّة وهدوء ، ويراجع كل المعلومات المختزنة لديه عن الرمال المتحرِّكة ..

كان يعلم أن المياه إذا ما اختلطت بالأتربة ، فإنها تمتزج بها على هيئة طين وطَمْى ، أما إذا ما اختلطت بالرمال ، فهى

لاتمتزج بها أبدا ، نظرًا لأن الرمال لاتذوب فى الماء ، وإنما يقتصر اختلاطهما على صنع مزيج متجانس ، تسبح داخله الرمال ، متباعدة الذرّات ، على تلك الهيئة المعروفة باسم (الرمال المتحركة)(*) ..

إذن فهى نوع من المياه الثقيلة ..

وبرقت فجأة معلومة قديمة فى ذهن (أدهم) ، كان قد طالعها منذ سنوات ، ثم استكانت فى ركن من أركان ذاكرته ، فغمغم :

— نعم .. إنها على أية صورة ، نوع من المياه .

وفى هدوء ، ثنى ظهره إلى الخلف ، واستلقى على الرمال الناعمة ، وفرد ذراعيه عن آخرهما ، كما لو أنه يسبح على ظهره ، داخل مسبح فاخر أنيق ..

نعم .. كانت تلك وسيلة ناجحة للغاية ، لمقاومة الغوص فى الرمال المتحرّكة .

أن يسبح المرء على ظهره فوقها(**) .

(*) حقيقة علمية مبسّطة .

(**) حقيقة علمية .

ولكن إلى متى ؟..

إن السباحة على الظهر تقى (أدهم) شرّ الغوص فى أعماق الرّمال ، ولكنها لاتؤمن له التوجّه نحو منطقة آمنة ..

لابدّ من وسيلة أخرى ..

ثم لمح (أدهم) بغتة جذع الشجرة القديم ، الذى جذبه لخوض تلك المنطقة فى البداية ..

كان هذا هو القشّة التى يتعلّق بها كل غريق ..

وفى حَذَر وبطء شديدين ، راح (أدهم) يحلّ حزامه من حول وسطه ، وهو يعلم أن أيّة حركة عنيفة ستُخِلّ بتوازنه ، وتجعله يغوص كالحجر فى الرمال المتحرّكة ..

ومن بعيد بدا صوت (أندريه) ورجاله، وهم يقتربون ..

كان موقفًا مزدوجًا عنيفًا ، كفيلًا بتحطيم أشد القلوب بأسًا وشجاعة ..

ولكن (أدهم) لم يهتزّ ..

ظل هادئًا على نحو مثير ، حتى نزع حزامه ، وأمسك طرَفه الجلدىّ ، وألقى الطرف الآخر ، الذى يحوى حلية الربط ، نحو جزع الشجرة القديم ، فى مهارة وإحكام منقطعى النظير ..

وتعلّقت حلية الربط بإحدى نتوءات الجذع ..

وراح (أدهم) يجذب نفسه إلى الجذع فى حذر وبطء ..

ووقع أقدام (أندريه) وجنوده يرتفع ..

وبلغ (أدهم) الجذع ، الذى يسبح وسط بركة الرمال الناعمة ، وجذب نفسه إليه ، وانتزع جسده من بركة الرّمال ، وصعد فوق الجذع الضخم ، وراح ينفض الرّمال عن جسده فى سرعة ..

وفجأة ، توقّفت يده ، حينما سمع صوت (أندريه) الشامت ، يقول فى ظفَر :

ـ دع عنك هذه المهمّة يا مستر (أدهم) .. سيسعد رجالى أن ينفضوا الرمال عن ثيابك ، قبل دفن جثتك .

وكان هناك أربعة عشر مدفعًا رشاشًا ، مصوّبة كلها إلى جسد (أدهم) ..

* * *

أوقف العقيد (مجدى) ، الملحق العسكرىّ لقنصلية (مصر) فى (تايوان) ، سيارته (الجيب) ، والتقط مدفعًا آليًا ، وثلاث قنابل يدوية ، ومسدسًا ، وترك عددًا مماثلًا لـ(منى) ، وهو يقول :



وجذب نفسه إليه ، وانتزع جسده من بركة الرمال ، وصعدت فوق الجزع الضخم ..

ـ من هنا يصبح التقدّم بالسيّارة مستحيلًا أيتها النقيب .. سنكمل الطريق على أقدامنا .

حملت أسلحتها ، وهى تقول فى توتُّر ، فى أثناء تقدُّمهما نحو الأحراش الكثيفة :

ـ إنها بداية (الدائرة الجهنمية) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـ بلى .. أتخشين وُلوجها ؟

ازدردت لعابها ، ثم هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول فى حزم :

ـ إننى لألِجُ الجحيم نفسها ، من أجل (أدهم) .

ابتسم ، وهو يقول :

ـ كنت أتصوّرك ستقولين من أجل (مصر) .

تضرّج وجهها بحُمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ لا فارق بين الاثنين فى قلبى .

تأمّلها فى إعجاب ، ثم أولى اهتمامه للأحراش ، مغمغمًا :

ـ من المؤسف أنك تُكِنّين لـ (أدهم) كل هذا الحبّ .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا تعتبر ذلك مؤسفًا ؟

ابتسم ، وهو يجيبها :

ـ لأن ذلك يَعْنى أنه لم يَعُد لى مكان فى قلبك .

تطلّعت إليه فى دهشة ، ثم عادت تولى اهتمامها شطْر الأحراش بدوْرِها ، وهى تقول فى حزم :

ـ فلنتجاهل كل تلك الأمور الجانبيّة الآن ، فنحن على وشك اقتحام الدائرة .. (دائرة الجحيم) ..

* * *

اعتدل (أدهم) فى ثبات ، وابتسم فى سخرية ، وهو يواجه (أندريه) و (كال) ورجالهما ، قائلًا :

ـ مَرْحَى أيها الأوغاد ، من الواضح أنكم أكثر خِبْرة بدروب ذلك الجحيم .

ابتسم (أندريه) فى شماتة ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول فى فخر :

ـ إن الدائرة الجهنمية لُعبتنا ، ومجال نفوذنا يا مستر (أدهم) ، وما كنت لتفرّ مِنّا داخلها أبدًا .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـ أتحب أن ألهب كفّىّ بالتصفيق ، أم أنفجر ضاحكًا يا جنرال القرود ؟

عقد (أندريه) حاجبيه الكثّين ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا هذا ولا ذاك يا مستر (أدهم) .. إننى أطالبك فقط بالاستسلام .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، ورفع ذراعيه ، قائلًا فى سخرية :

ـ يا له من مطلب !.. إننى ملك أيديكم بالفعل يا جنرال القرود .

هتف به (أندريه) فى غضب :

ـ تقدَّم إلى هنا رافعًا ذراعيك يا (أدهم صبرى) ، وإلَّا أمطرك رجالى برصاصاتهم .

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يتفرَّس فى ملامح (أندريه) ..

ألم يدرك حقًا أنه يقف وسط بركة من الرمال المتحرِّكة ؟!..

ألا يعلم تلك الحقيقة ؟!..

أم أنه يعلم ذلك ، ويقصده ؟!..

الوسيلة الوحيدة لحسم مثل هذا الأمر ، هى التجربة .. التجربة وحدها ..

وفى هدوء ، عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ ولِمَ لا يأتى رجالك لاقتناصى ؟

ابتسم (كال) فى سخرية ، وقال وهو ينفث دُخان سيجاره :

ـ نعم .. ولِمَ لا ؟

رمقه (أندريه) بنظرة صارمة كعادته ، وقال لـ(أدهم) فى حزم :

ـ ليكن .

ثم أشار إلى أربعة من جنوده ، مستطردًا :

ـ آتونى به .

تقدَّم الرجال الأربعة نحو بركة الرمال المتحرِّكة فى حزم ، وتألَّقت عينا (كال) فى جذل ، وهو يتابعهم ، وبدت فى عينيه نظرة ساديَّة عجيبة ، جعلت (أدهم) يُقسم إنه يعلم طبيعة تلك الأرض ، التى سيطؤها رجال (أندريه) ..

ولكن فجأة هتف (دى مال) :

ـ مهلًا يا رجال .. لا تتقدَّموا خطوة واحدة .

توقَّف الرجال الأربعة بغتة فى توتُّر ، ونقلوا أبصارهم بين (دى مال) و (أندريه) فى حيرة ، فهتف الأخير فى وجه الأوَّل ، غاضبًا :

— ماذا حدث يا (دى مال) ؟.. كيف تجرؤ على إلغاء أحد أوامرى ، دون الرجوع إلىّ .

أشار (دى مال) إلى حافة بركة الرمال المتحرّكة ،، وهو يقول :

— معذرة يا سيّدى ، ولكن تقدّمهم كان سيُوقعهم فى الفخ .. إنها رمال متحرّكة يا جنرال .

تراجع (أندريه) بحركة غريزية حادّة ، وهو يردّد فى ارتياع :

— رمال متحرّكة ؟!

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، مستطردًا فى غضب :

— أكنت تعلم ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، قائلًا فى سخرية :

— بالتأكيد .. لقد كانت وسيلة طريفة لإثبات جهلك أمام رجالك .. ولقد أفلحت .. أليس كذلك ؟

غمغم (كال) فى سخرية :

— بلى .

استشاط (أندريه) غضبًا ، فصاح فى حَنَق وسخط هائلين :

— أتتحدّث عن الوسائل الطريفة ؟. سأريك أنا كيف تكون الطرافة .

ثم التفت إلى رجاله ، مستطردًا فى ثورة :

— اقتلوه يا رجال .. اقتلوه بلا رحمة .

وأصبح الأمر مجرّد اختيار لوسيلة الموت ، فإمّا الرصاصات ، أو .....

أو رمال الموت المتحركة ..

* * *



٣ ــ العــودة ..

لم يدرِ رجال (أندريه)، الذين كُتِبَ لهم البقاء، بعد تلك المعركة، كيف انقلبت الأمور بغتة على هذا النحو ..

لقد كان (أدهم) يقف أمامهم أعزل، فوق جذع قديم، وسط بركة من الرمال الناعمة المتحرِّكة، ومدافعهم الأربعة عشر مصوَّبة إليه، ولا ينقصهم سوى الضغط على أزندتها، فتنطلق النيران من فوَّهاتها، وتحصده حصدًا ..

ولكن قبل تلك الخطوة الأخيرة بجزء من الثانية، حدث تطوُّر خطير غير متوقَّع على الإطلاق، قلب الأمور كلها رأسًا على عقِب بغتة.

لقد رأى الجميع ــ بدهشة بالغة ــ مدفعًا آليًا يشقُّ طريقه من وسط الأحراش، نحو (أدهم) مباشرة، وسمعوا صوتًا أنثويًا يهتف فى حماس:

ــ التقط يا (أدهم).

كان من المفروض أن يشاركهم (أدهم) دهشتهم، لتلك المفاجأة المذهلة، التى هبطت عليه من السماء فجأة، بعد

أن كان يرى الموت بعينيه، على قيد خطوات منه، إلا أنه لم يكد يميِّز صوت (منى)، ويرى المدفع الآلىّ الملقى نحوه، حتى اختلج قلبه فى سعادة وحماس، ودار حول نفسه فى رشاقة مُذهلة، والتقط المدفع الآلىّ، ثم عاد يواجه رجال (أندريه)، وهو يحفظ توازنه فوق الجذع بمرونة رائعة، وهتف فى لهجة آمرة، وهو يضغط زِناد مدفعه الآلىّ:

ــ الآن .. معًا.

قبل أن يتمَّ نطق كلمته الأخيرة، انهالت رصاصاته، رصاصات (منى) و(مجدى) على رجال (أندريه)، وعلى هذا الأخير، ورفيقه البدين (كال)، الذى صرخ، وهو يُهرْوِل نحو الأحراش بجسده البدين:

ــ تراجعوا .. تراجعوا جميعًا.

كان (أندريه) أسبق الجميع إلى التراجع، بعد (كال)، على حين سقط عشرة من رجاله الأربعة عشر، برصاصات أبطالنا، وهتف (دى مال)، وهو يتراجع خلف زعيمه:

ــ هل نقاتلهم يا جنرال ؟.. أنصبِرُ على القتال ؟

هتف به (أندريه) فى حَنَق شديد:

ــ أى قتال أيها الغبىّ .. لقد فقدنا ثمانين فى المائة من

رجالنا ، ولسنا ندرى عدد من يقاتلوننا .. إن التراجع الآن هو أفضل إجراء ممكن .

غمغم (دى مال) فى دهشة :

ـــ وهل سنتركه يفرّ بالسّر يا جنرال ؟

أجابه (أندريه) فى حَنَق :

ـــ كلّا بالتأكيد .. حتى ولو غادر الأحراش ، فهو لن يفلت من قبضتنا أبدًا .. إن دائرتنا الجهنمية لا تقتصر على الأحراش المحيطة بمعسكرنا وحدها يا (دى مال) .. إنها تتسع لتشمل (تايوان) كلها .

ثم صرخ فى مرارة :

ـــ هل تفهمنى ؟.. (تايوان) كلها .

وعضّ على نواجذه ، وهو يضيف فى حَنَق وغضب هائلين :

ـــ وما دام (أدهم صبرى) هذا لم يغادر (تايوان) بعد ، فهو لا يزال فى قبضتنا .

واعتصر قبضته فى ثورة ، مستطردًا :

ـــ نعم .. فى قبضتنا .

* * *

هتفت (منى) فى سعادة ، وهى تغادر مكمنها وسط الأحراش ، وتُهرَع نحو (أدهم) ، يتبعها (مجدى) :

ـــ (أدهم) !!.. حمدًا لله .. إنك بخير .

صاح بها (أدهم) فى صرامة :

ـــ قِفِى .

تسمّرت فى مكانها ، وتطلّعت إليه فى ذُعْر ، وهى تغمغم :

ـــ ماذا حدث ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

ـــ إنك تتجهين نحو منطقة رمال متحرّكة .

حدّقت فى المنطقة القريبة منه ، وهى تهتف فى هَلَع :

ـــ يا إلهى !!

برز (مجدى) من خلفها ، وهو يبتسم ، قائلًا فى هدوء :

ـــ ولكن هناك وسيلة للتغلّب عليها بالتأكيد .

ابتسم (أدهم) ، حينما وقعت عيناه عليه ، وقال فى هدوء ، يحمل رنّة سعادة لرؤيته :

ـــ كيف حالك يا صديقى العزيز ؟.. أىّ رياح طيّبة جاءت بك إلى هنا ؟

تنهّد (مجدى) ، وهو يقول :



تسمرت في مكانها ، وتطلعت إليه في ذعر ، وهي تغمغم :

ــ ماذا حدث ؟

ــ إنني الملحق العسكريّ هنا يا صديقي ، وربّما كان ذلك من حُسن الحظ ، حتى يمكنني أن أُسدِّد لك دَيْني القديم .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

ــ لست أدينك بشيء يا صديقي .

لم يعلِّق (مجدى) على عبارته ، وإنما راح ينتزع أغصان الأشجار ، وهو يقول :

ــ سنخرجك من هناك أوّلًا .

أشار (أدهم) إلى (خالد) ، الفاقد الوعي ، وقال :

ــ اهتموا بشأنه أوّلًا .

قالت (منى) في هدوء :

ــ لا تقلق .. سنعود جميعًا سالمين بإذن الله .

ثم التفتت إلى (مجدى) ، تسأله في فضول :

ــ أىّ دَيْن يدينك به (أدهم) ؟

ابتسم (مجدى) ، وهو يقول في لهجة تجمع بين الاعتزاز والامتنان :

ــ لقد أنقذ حياتي ، في لحظة تصوّرت فيها أن نهايتي حتمية .. أتدرين من كان خصمي حينذاك ؟

سألته فى اهتمام :

— من ؟

ضحك ، وهو يلتفت إلى (أدهم) . قائلًا :

— مدير المخابرات الإسرائيلية ذاته .

وأغرق فى الضحك ، على حين اكتفى (أدهم) بابتسامة هادئة ..

* * *

لم يحاول القنصل المصرىّ إخفاء قلقه ، وهو يستمع إلى قصة (أدهم) ، و (منى) ، ولقد نهض من مقعده فى توتُّر واضح ، وزفر فى عمق ، قبل أن يقول :

— أعلم أن الأمر بالغ الخطورة ، ويهدِّد بتحطيم اقتصادنا بالفعل ، إلّا أننى لا أملك سوى الحل الدبلوماسىّ .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— من حُسنِ الحظ أننا نملك الحلول الأخرى يا سيِّدى .

قال القنصل فى توتُّر :

— إنكم لا تقدِّرون عاقبة الأمور .. إن (فرديناند كال) هو حاكم المدينة ، إنه السلطة الشرعية ، التى ينبغى أن نتخاطب معها ، و (أندريه دى فال) هو رئيس الأمن

الداخلىّ والخارجىّ ، بعد مصرع (هنرى كلارك) ، أمّا (خوانى كيرليوس) ، فهو المسئول الاقتصادىّ ، أو ما يعادل وزير المالية لدينا . وهذا يَعنى أن مهاجمة هؤلاء الثلاثة ، تُعَدُّ بمثابة إعلان الحرب على (تاييه) ، وعلى (تايوان) بالتالى .

غمغم (أدهم) فى لهجة تحمل رنَّة ساخرة :

— ليكن ، ما دام هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ اقتصادنا من الانهيار .

لوَّح القنصل بذراعيه ، وهو يهتف فى حَنَق :

— ولكن هذا مستحيل !.. إنه أمر بالغ الخطورة .

استرخى (أدهم) فى مجلسه ، وكأنما يقضى عطلة استجمام ، وقال :

— يمكننا أن نشن حربًا سرِّيَّة .

عقد القنصل حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— ماذا تعْنى ؟

فتح (أدهم) فمه ليجيب ، لولا أن دخل (مجدى) فى تلك اللحظة ، وهو يقول :

— يا إلهى !!.. لقد كابد (خالد) عذابًا رهيبًا .. إن هذا الشاب بطل بحقّ ؛ لأنه احتمل كل هذا .. لقد انتزعوا نصف

أظفاره تقريبًا ، وجلده متسلّخ على نحو مخيف ، وكاحله متورّم وملتهب فى شدة .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ هل سيشفى ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الملحق الطبى يؤكّد أنه سيفعل ، وهو يُوليه عناية فائقة .

ابتسمت (منى) فى ارتياح ، وهى تقول :

ـ يبدو أن ذلك الشقّ من المهمّة قد انتهى بنجاح .

غمغم (أدهم) فى حزم :

ـ ولكنه لا يكفى .

عقد القنصل حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ لو أردتم نصيحتى ، فأنا أرى أن تكتفوا بذلك النصر ، وتعودوا إلى (القاهرة) على أوّل طائرة ، قبل أن تشتعل الحرب بيننا وبين (تايوان) .

مطّ (مجدى) شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ولكن هذا مستحيل .

التفت إليه القنصل ، قائلًا فى حِدّة :

ـ اسمع أيها الملحق العسكرىّ .. مهما كانت رتبتك ، فأنا هنا رئيسك ، ولن أسمح لك بتجاوز أوامرى أبدًا ، وإلّا طلبت إعادتك إلى (القاهرة) على الفور .

ابتسم (مجدى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ يؤسفنى أن هذا أيضًا مستحيل يا سيّدى .

صاح القنصل فى غضب :

ـ ليس مستحيلًا ، إنه يدخل ضمن سلطاتى .

أجابه (مجدى) فى هدوء :

ـ لا شأن لهذا بسلطاتك يا سيّدى .. إنه يتعلّق بسلطات (فرديناند كال) حاكم المدينة .

سأله القنصل فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (مجدى) فى هدوء حازم :

ـ أعنى أن (فرديناند كال) قد أصدر أوامره بعزل المدينة .. لا رحلات جوّيّة ، ولا بحريّة ، ولا خطوط برّيّة .. إن الرجل يصرّ على اقتناص (أدهم) و (منى) ياسيّدى ؛ لذا فقد أقام حولهما أسواره .

وشملت صوته رنّة صارمة ، وهو يُردِف :

ـ (أسوار الجحيم) .

* * *

٤ — الحِصار الشيطانىّ ..

تطلّع (خوانى كيرليوس) بعينيه الجاحظتين ، وأسنانه الأمامية الضخمة البارزة ، وأنفه المُفَلْطَح ، إلى (فرديناند كال) ، وبدا متبرّمًا أشد التبرُّم ، وهو يقول :

— أتظن أن وسيلتك هذه ستنجح يا (كال) ؟

أجابه (كال) ، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا :

— إننى أميل إلى ذلك يا عزيزى (خوانى) .

مطّ (خوانى) شفتيه ، أو على وجه الدقّة زاد من مطّهما الطبيعىّ ، وهو يقول فى حَنَق :

— ولكن هذا يضرُّ بالاقتصاديات أشدّ الضرر ، فمنع المواصلات يَعْنى أيضًا توقُّف خطوط الإنتاج ، وحركة البيع والتصدير ، فإلى متى تنوى مدّ ذلك ؟

أشار (كال) بيده ، قائلًا فى برود :

— يومين على الأكثر .

سأله (خوانى) فى صرامة :

— أأنت واثق ؟

هزّ (كال) كتفيه المكتظّتين ، وهو يقول :

— إلى حدٍّ ما .

زفر (خوانى) فى حَنَق ، وراح يقطع حجرة (كال) الواسعة فى خُطُوات عصبيّة ، وهو يعقد كفّيه خلف جسده الضئيل ، ويهرش بعصبيّة فى شعره الكثّ الناعم ، قبل أن يلتفت إلى (كال) ، قائلًا فى انفعال :

— إنك تقول إنهما داخل القنصلية المصرية .. أليس كذلك ؟

أومأ (كال) برأسه إيجابًا ، وقال :

— بلَى .

هتف (خوانى) فى حماس :

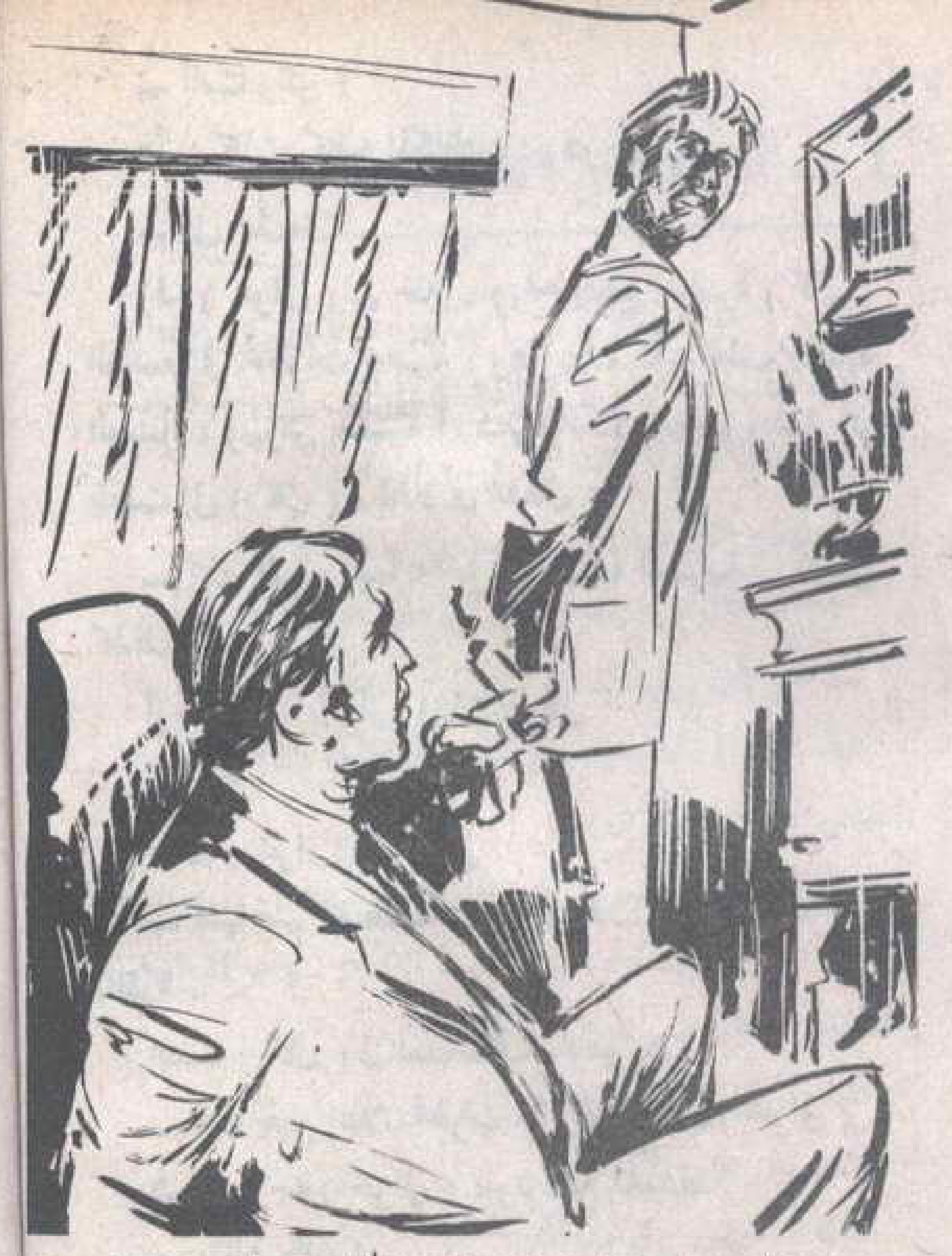
— فلنهاجم القنصلية المصريّة إذن ، وننتزعهما منها بالقوّة .

ابتسم (كال) فى استخفاف ، وهو يقول :

— هذا يَعْنى إعلان الحرب على المصريّين يا (خوانى) .

شحُب وجه (خوانى) ، وتراجع مغمغمًا .

— يا للشيطان !



وراح يقطع حجرة (كال) الواسعة فى خطوات عصبيّة ، وهو يعقد كفّيه خلف جسده الضئيل ..

أسرع (كال) يستدرك فى خفوت ودهاء :

ـــ مالم يحدث ذلك بصورة غير رسميّة .

اتّقدت عينا (خوانى) ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ ماذا تعنى ؟

أشاح (كال) بوجهه ، ونفث دُخان سيجارة ، وهو يقول وكأنه يحدّث نفسه :

ـــ أعنى أنه هناك الكثير من المنظمات الإرهابية ، فى جميع أنحاء العالم ، وبعضها ضد مبادئ (مصر) بالطبع ، ولو أن إحداها هاجمت القنصلية .

أكمل (خوانى) فى حماس :

ـــ فيمكننا أن نصدر بيان استنكاره و ... ياللشيطان !.. إنك عبقرىّ يا (كال) .

وهبَّ من مقعده ، مستطردًا :

ـــ هكذا فقط يمكننى أن أتحرّك فى حرّيّة .

سأله (كال) فى تخابث ، دون أن يلتفت إليه :

ـــ ماذا ستفعل بالضبط ؟

أطلق (خوانى) ضحكة خبيثة ، وهو يقول :

ـ لا داعى لأن تعرف يا عزيزى (كال) ، حتى لا تصبغ الأمر بصبغة رسميّة .. أليس كذلك ؟

وعاد يطلق ضحكته الخبيثة ، التى حملت هذه المرّة رائحة مخيفة ..

رائحة الموت ..

* * *

أوقف (مجدى) سيّارته ، عند تلك السوق التجارية الشهيرة ، فى قلب (تايبه) ، وقال لـ (منى) فى هدوء :

ـ لُعبة بالغة الخطورة ، تلك التى يلعبها (أدهم) .

أجابته فى بساطة :

ـ هكذا ألعاب (أدهم) دَوْمًا .

ابتسم ابتسامة باهتة ، والتفت إليها مغمغمًا فى خفُوت :

ـ من الواضح أنك تحبّين (أدهم) جدًّا .

تضرّج وجهها بحُمْرة الخجل ، وهى تغمغم فى اقتضاب :

ـ جدًّا .

وتنحنحت ، لتنفض عن نفسها الحَرَج ، وهى تستطرد فى لهجة مغايرة :

ـ أين (مونو) ؟.. لماذا تأخر إلى هذا الحدّ ؟

أدرك محاولتها للفرار من أسلوبه ، فاعتدل ، مغمغمًا فى حزم :

ـ لن يلبث أن يظهر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لاح له (مونو) ، وهو يغادر الحىّ التجارىّ ، ويتّجه نحو السيّارة فى خُطُوات لاهية ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا مُنَغَّمًا ، حتى وصل إلى السيّارة ، فانحنى ، وابتسم ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا سيّدى .. كيف حالك ؟

أجابه (مجدى) فى اقتضاب :

ـ ادخل .

دلف (مونو) إلى السيّارة فى رشاقة ، وأغلق بابها خلفه فى رفق ، وهو يبتسم ، قائلًا فى خُبث :

ـ سمعت أن شيطانكم قد نجح فى تحقيق سابقة رهيبة ، وفرّ من معتقل الجحيم .

غمغم (مجدى) :

ـ لم يكن الأمر بهذه الصعوبة .

اتسعت ابتسامة (مونو) الخبيثة ، وهو يقول :

ـ لأن حسن حظه أوقعه على أسهل دروب (الدائرة الجهنمية) .. لقد اجتاز الجحيم عَبْرَ أوسع أبوابه ، وأكثرها يُسرًا .

سأله (مجدى) بغتة :

ــ من أين تأتى بتلك المعلومات يا (مونو) ؟

هزّ (مونو) كتفيه ، وهو يقول :

ــ إن لدىّ جهاز استخباراتى الخاصّ .

سأله (مجدى) فى لهجة حازمة ، وهو يبتعد بسيارته عن المكان :

ــ وكم تطلب لفضح سرّ جهازك هذا ؟

بدت الدهشة واضحة على وجه (مونو) ، الذى لم يلبث أن اكتسى بقناع سميك من الحَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ ولكن ؟!.. ولكننى أمنحك كل ما تطلب يا سيِّدى !!

قال (مجدى) فى صرامة :

ــ لم يَعُد هذا يكفى يا (مونو) .. إننى أحتاج الآن إلى معرفة الوسيلة .

عقد (مونو) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ مستحيلٌ !

قال (مجدى) فى جِدّيَّة :

ــ سأمنحك عشرة آلاف دولار مقابل ذلك .

أجابه (مونو) فى صرامة أشد :

ــ مستحيل !!

ــ عشرين ألفًا .

ــ أيضًا مستحيل .

ــ خمسة وعشرين .

ــ قلت مستحيل !!

التفتت إليه (منى) ، وقالت فى صرامة :

ــ لماذا تستخدم كلمة مستحيل هذه يا رجل ؟.. أراهنك أن لدىّ عرضًا سيجعلك تتراجع عنها .

هتف (مونو) فى حزم :

ــ أراهنك بعشرة آلاف دولار .

أخرجت فجأة مسدسها من حقيبتها ، وألصقته بجبهته ، وجذبت إبرته ، وهى تقول فى صرامة :

ــ لقد قبلت الرهان .

شحب وجه (مونو) ، وحاول أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ــ إنك تهزلين ولا شك !

أجابته فى صرامة :

ــ لو أنك تراهن على ذلك أيضًا ، فأنصحك بدفع مبلغ الرّهان مقدّمًا ، فلست على استعداد للدخول فى متاعب مع الورثة .

ردّد فى رُعْب :

ــ الورثة ؟!..

ثم أجبر شفتيه على رسم ابتسامة مرتجفة ، وهو يستطرد :
ــ (مونو) فى خدمتكم دوْمًا .. سأخبركم بكل ماتريدون ، مقابل خمسة وعشرين ألف دولار .
قالت (منى) فى صرامة :
ــ خمسة عشر ألفًا فقط .
هتف فى اعتراض :
ــ ولكن .....
قاطعته فى حزم :
ــ أنسيت مبلغ الرهان .. لقد فزت أنا .. أليس كذلك ؟
مطَّ شفتيه ، وعقد حاجبيه فى حَنَق ، وهو يقول :
ــ بلَى .. لَمْ أنس .
ثم هتف فى عصبية :
ــ ماذا تريدان بالضبط ؟
أعادت (منى) مسدسها إلى حقيبتها ، وهى تقول :
ــ نريد معرفة الوسيلة .
هتف فى توتُّر :
ــ أية وسيلة ؟
أجابته فى صوت أثار الرجفة فى أوصاله :
ــ وسيلة اقتحام (أسوار الجحيم) ، وبلوغ معقل الشيطان ..

* * *

٥ ــ هجوم ليلىّ ..

تفحَّص (أدهم) تلك الخريطة ، التى حصل عليها (مجدى) و (منى) من (مونو) ، فى اهتمام بالغ ، وقال فى هدوء :
ــ إذن فهناك دروب آمنة عَبْرَ (الدائرة الجهنمية) ، يمكنها أن تقودنا إلى معقل (أندريه) .
أشارت (منى) إلى الخريطة ، وهى تقول :
ــ هذا صحيح ، ولكن كل تلك الدُّروب تنتهى عند أسوار المعقل ، التى أجمع الكل على استحالة اختراقها عنوة .
غمغم القنصل فى توتُّر :
ــ فى رأيى أن هذا يحتاج إلى فريق انتحارىّ كامل .
أومأ (أدهم) برأسه ، قائلًا :
ــ هذا صحيح .
ثم ابتسم مستطردًا :
ــ لذا فسنعد العُدَّة لمهاجمة المعقل مساء غد .

عقد القنصل حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى دهشة ، قبل أن يقول فى صوت خافت ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :

ــ هل أبرقت إلى (القاهرة) ؛ لترسل لك فريقًا انتحاريًا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يحافظ على ابتسامته ، قائلًا فى هدوء :

ــ ولِمَ .. إن الفريق كله هنا .

ازداد انعقاد حاجبى القنصل ، وهو يردّد فى توتّر :

ــ هنا ؟!.. أين ؟..

أشار (أدهم) إلى (منى) و (مجدى) ، واتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ــ ها هو ذا ؟

اتسعت عينا القنصل ، وارتفع حاجباه ، حتى كادا يمتزجان بخصلة شعره البيضاء ، فى أعلى رأسه ، قبل أن يعودا للانعقاد فى شدّة ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ ماذا ؟.. أتعنى أن ثلاثتكم فقط ستهاجمون المعتقل ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ إننى لم أشِرْ إلّا لاثنين فقط .

لوّح القنصل بذراعه كلها فى حِدّة ، وهو يهتف :

ــ هُرَاء .. أنتم ترسمون خططكم على نسمات هواء .. إنكم تغامرون فى حماقة غير مدروسة .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ــ من قال إنها غير مدروسة يا سيّدى ؟

صاح فى عصبيّة :

ــ أنا .. أنا أقول ذلك .. لقد أجمع الكل على استحالة اختراق أسوار ذلك الجحيم ، فكيف تتصوّر أن ينجح رجلان وامرأة فى ذلك ؟ وبعدها يقاتلون مائتى رجل مسلح ، و .....

قاطعته (منى) فى هدوء :

ــ مائة وثمانون فحسب .

هتف فى حَنَق :

ــ فليكن .. سأخفض بالرقم إلى مائة .. أيمكن لثلاثتكم مواجهة مائة رجل ، بافتراض أنكم ستنجحون فى عبُور (أسوار الجحيم) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ إنها ليست لُعبة قوة يا سيّدى ، بل لُعبة ذكاء ، والمبدأ ،

الذى أعمل به طيلة عمرى ، يقول إنه يمكن لرجل واحد ، يحسن استغلال ذكائه ، ونقاط ضعف عدوّه ، أن يهزم وحده جيشًا كاملًا .

صرخ القنصل فى ثورة :

ـــ مستحيل !.. سأبرق إلى (القاهرة) على الفور ، وأطلب منهم منعكم ، أو استدعاءكم للعودة .. لن أسمح لكم بمواصلة حماقاتكم هذه أبدًا .

انعقد حاجبا (مجدى) فى قوة ، وهو يواجهه قائلًا :

ـــ اسمع يا سيّدى .. لو أنك أبرقت إلى (القاهرة) ، أو حتى إلى (المريخ) ، فإن هذا لن يدفعنا إلى التراجع عن خططنا ، فلقد درسنا الأمر من كل أوجهه ، ووجدنا أنه حتى لو حاولت (القاهرة) منع ذلك المخطط الاقتصادىّ الشيطانىّ ، فإنها ستعجز تمامًا ؛ لأن النقود التى ستسبب ذلك التضخّم ، ستكون ـــ طبقًا لكل المعايير ـــ نقودًا حقيقية غير مزيّفة ، ما دامت تُطبع على نفس نوع الورق ، وبنفس الأحبار ، وهذا يَعْنِى أن الوسيلة الوحيدة لتحطيم ذلك المخطّط ، هى أن ندمّر مطبعة وخامات تلك النقود غير الشرعية ، وما من سبيل آخر لذلك .

استمع إليه القنصل وعيناه متسعتان فى هلع ، ثم غمغم :

ـــ ولكن هذا الأمر مبالغ فيه بالتأكيد ، فمن المستحيل لأيّة جهة الحصول على نفس الورق الخاصّ ، و .....

قاطعته (منى) فى حزم :

ـــ لقد تحرّينا ذلك يا سيّدى ، وكشفنا أن شاحنة من الأوراق الخاصّة بطبع أوراق النقد المصرية قد تعرّضت لحادث منذ شهرين ، وعثر عليها المختصون محترقة عن آخرها ، ولقد قدّروا ، بفحص البقايا وكميّات الرماد المتخلّف ، أن كل الحمولة قد احترقت عن آخرها ، ولكن من الواضح أن أصحاب هذا المخطّط الشيطانى قد استولوا على أوراق طباعة النقد الخاصّة ، وأحرقوا بدلًا منها أوراقًا عاديّة ، وهكذا تأكّدنا من مدى خطورة الأمر .

غمغم القنصل فى توتّر :

ـــ يمكننا مجابهة ذلك بأيّة وسيلة أخرى .. كتغيير أوراق النقد مثلًا .

أجابه (أدهم) :

ـــ هذا سيستغرق زمنًا طويلًا ، أطول مما يكفى لمنع ذلك المخطّط الشيطانى ، ثم إن إصدار أوراق نقديّة جديدة ،

لا يُلغى تداول الأوراق القديمة ، كما أنه من العسير ، حتى ولو صدر قرار بذلك ، أن يتم سحب كل الأوراق القديمة فى زمن قياسى .

أُسقِطَ فى يد القنصل ، فأطرق برأسه ، مغمغمًا :

ـــ لست أقل منكم وطنية ، ولكننى أخشى عواقب الأمور ديبلوماسيًا .

وضع (مجدى) يده على كتفه ، وهو يقول :

ـــ حتى هذا اتخذنا ما يلزم بشأنه .. لقد كتبت استقالة من عملى هنا ، كملحق عسكرىّ ، ويمكنك أن تحتفظ بها ، وتبرزها لو حدث ما يكشف حقيقة شخصيّتى .

اغْرَوْرَقَتْ عينا القنصل بالدموع ، وهو يغمغم :

ـــ لم يكن هذا ما أقصده ، ولكن .....

قاطعه (مجدى) :

ـــ لا عليك .. إننى أفهم .

تنهّد القنصل ، وقال :

ـــ كل ما كنت أعنيه وأخشاه هو أن .....

قاطعه (أدهم) فجأة فى حزم :

ـــ صمتًا يا سيّدى .

ثم اتجه نحو النافذة ، واختلس النظر من خلف أستارها ، وأضاف :

ـــ كما توقّعت .. إنها محاولة اقتحام .

هتف القنصل فى دهشة :

ـــ ماذا ؟.. ولكن القنصلية أرض مصرية ، و .....

قاطعته (منى) ، وهى تسأل (أدهم) فى لهفة :

ـــ كم رجلًا ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ حوالى العشرين ، وهم يحاصرون مبنى القنصلية الآن .. استعدادًا للهجوم .

غمغم (مجدى) فى حَنَق :

ـــ يا للأوغاد !

ابتسم (أدهم) ، وشعر القنصل بالدهشة ، حينما رأى فى ابتسامته لمحة جَذَل ، كشخص مقدم على لُعبة طريفة ، وأدهشته أكثر رنّة العبث فى صوت (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ ولكنها فرصة مناسبة للتدريب يا رفاق .. أليس كذلك ؟

ابتسم (مجدى) و (منى) ، وقالت الأخيرة فى حماس :



ثم اتجه نحو النافذة ، واختلس النظر من خلف أستارها ، وأضاف :

ــ كما توقّعت .. إنها محاولة اقتحام .

ــ بالتأكيد .. إنها فرصة مناسبة لذلك .

وأخرجت مسدّسها ، وجذبت إبرته ، مستطردة :

ــ ولتلقين هؤلاء الأوغاد درسًا قاسيًا ، لاينسوْه مدى حياتهم أبدًا .

* * *

تسلّل الرجال العشرون داخل حديقة القنصلية ، بعد أن تخلّصوا من حارسها ، وأشار إليهم قائدهم ، فتحرّك خمسة منهم نحو الجانب الأيسر للمبنى ، وتحرّك خمسة آخرون نحو الجانب الأيمن ، تبعهم عدد مماثل ، دار حول المبنى ، ليحتل الجانب الخلفى منه ، على حين وقف قائدهم وأربعة آخرون أمام مدخل المبنى ، وهمس القائد فى حزم :

ــ سيتمّ الهجوم فى وقت واحد ، بعد أربع دقائق بالضبط .. أريد أن يقتحم الجميع المبنى فى آن واحد ، ويسيطروا على كل شبر فيه ، ثم يطلقوا النار على ذلك المصرىّ وزميله ، اللذين فرّا من المعتقل ، وبعدها نترك ذلك البيان الذى يضعنا فى هيئة منظمة مناهضة للمصريّين وسياستهم ، ونعود أدراجنا .

سأله أحد رجاله فى اهتمام :

ـ هل نقتل القنصل أيضًا ؟

هزّ القائد رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. سنتركه ، حتى لا يتفاقم الأمر .

تطلّع إلى ساعته ، واستطرد فى اهتمام :

ـ بقيت أمامنا دقيقتان ، و ......

قاطعه صوت ساخر من خلفه ، يقول :

ـ وتتحطّم أنوفكم تمامًا .

التفت القائد ورجاله الأربعة نحو مصدر الصوت فى حِدّة ، وطالعهم وجه (أدهم) وهو يبتسم فى سخرية ، ولكن هذا لم يَفُتّ من عَضُدِهم ، ولم يسمّرهم من أثر المفاجأة ، فقد كان من الواضح أن (خوانى كيرليوس) قد انتخب عشرين رجلًا محترفًا بحق ..

فبأقصى سرعة ممكنة ، وبمهارة رائعة ، ارتفعت فُوّهات المدافع الآلية الخمسة نحو صدر (أدهم) ..

وانطلقت النيران ..

* * *

٦ ـ دَعْهُمْ ينهزمون ..

أقسم (خوانى كيرليوس) ، فى تلك الليلة ، أن انفعالاته لم تبلغ أبدًا ذلك الحدّ ، طِيلة حياته الحافلة ، وهو يقطع حجرته جيئةً وذهابًا ، ودُخان سيجاره يتطاير خلفه ، كما لو كان قاطرة بخارية ، انتابتها نَوْبة حادّة من العصبيّة المفرطة ..

وبين الفَيْنة والفَيْنة ، كان (خوانى) يتطلّع إلى ساعته فى عصبيّة ، ثم يتجه إلى نافذة حجرته ، ويزيح أستارها ، ويتطلّع إلى الطريق فى لهفة ، ثم يعود لقطع حجرته بنفس التوتّر والانفعال ..

وفى الواحدة وخمس دقائق بالضبط ، خفَق قلبه فى قوّة ، خُيّل إليه أنها آخر ما تبقى فيه من حياة ، حتى لقد كاد يتوقّف بعدها إلى الأبد ، حينما شاهد صاحبه سيارة من طراز حديث ، تتوقّف أمام منزله ، ويهبط منها وجه مألوف ، جعله يقفز نحو جهاز الاتصال الداخلىّ لحجرته ، ويضغط زِرّه ، قائلًا فى انفعال :

ــ اسمع يا (كرياكوس) .. هناك شخص سيطلب مقابلتى الآن .. دَعْهُ يصعد إلى حجرتى على الفور .

سمع صوت حارسه الخاص (كرياكوس) ، يقول فى دهشة .

ــ أتقصد ذلك الشخص ، الذى يحمل مِدفعًا آليًا ياسيِّدى ؟

أجابه (خوانى) فى انفعال :

ــ نعم .. إننى أقصده .. دَعْهُ يصعد إلى حجرتى الآن .

سأله (كرياكوس) فى تردُّد :

ــ بمدفعه ؟!

هتف (خوانى) فى حَنَق :

ــ كلَّا بالطبع أيها الغبىّ .. إنه يعرف التعليمات .. لخُذْ مدفعه ، وَدَعْهُ يصعد بسرعة .

لم تمض سوى لحظات ، بدت لـ (كرياكوس) كالدَّهر ، حتى دلف الرجل إلى حجرته بأنف متورِّم ، وعين تحيط بها كَدَمَة كبيرة ، وسأله (خوانى) فى لهفة :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه الرجل بصوته الخشن ، فى توتُّر :

ــ لقد أعدُّوا لنا كمينا ، وهاجمنا الملحق العسكرىّ للقنصلية ، وفتاة شيطانية ، ورجل أمن السفارة ، وذلك المصرىّ .. كلهم هاجمونا فجأة .

شحب وجه (خوانى) ، وهو يقول :

ــ وماذا حدث عندئذ ؟

لوَّح الرجل بذراعه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ لقد أسروا نصف الرجال بالطبع ، وأصابوا النصف الآخر بجراح مخيفة ، وأنا الوحيد الذى نجح فى الفرار تقريبًا .

تراجع (خوانى) كالمصعوق ، وهو يردِّد فى شُحُوب :

ــ ياللشيطان !!

وخفَت صوته إلى حدّ مثير للرثاء ، وهو يستطرد :

ــ وماذا عن ذلك المصرىّ ؟

أجابه الرجل ، وهو يجلس ، ويبحث فى جيوبه عن سيجارة :

ــ لقد فاجَأنا أمام مدخل المبنى ، ولكننا أطلقنا النار عليه .

ازدرد (خوانى) لُعابه ، وهو يسأله فى لهفة :

ــ هل قتلتموه ؟

تنهّد الرجل ، وغمغم وهو يشعل سيجارته :

ــ إنه شيطان .

ازداد شُحُوب وجه (خوانى) ، وهو يغمغم :

ــ ماذا تقصد ؟.. هل نجا ؟

مطّ الرجل شفتيه ، ونفث دُخان سيجارته ، وهو يقول :

ــ إنه لم يُقتل ، ولكن .....

سأله فى توتُّر :

ــ ولكن ماذا ؟

سحب الرجل نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى قوّة ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ ولكنه أصيب إصابات بالغة ، بثلاث من رصاصاتنا .

وابتسم فى شراسة ، مستطردًا :

ــ وأظن أن الشمس لن تشرق غدًا ، إلّا وهو جثة هامدة ..

* * *

ارتدت (منى) ذلك الزّىّ ، الشبيه بزىّ قوّات الصاعقة المصرية ، ودفعت خزانة مدفعها الآلىّ فى المكان المخصص لها ، أسفل المدفع ، وهى تقول لـ (مجدى) فى عصبيّة :

ــ سأحطّم ذلك المعتقل .. سأنسفه نسفًا ، حتى ولو كان ذلك آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

غمغم وهو يحشو خزانة مدفعه الآلىّ بدوْرِه :

ــ هذا ما نتمنّاه جميعًا .

ثم زفر فى عمق ، مستطردًا :

ــ كم كنت أتمنّى لو أن (أدهم) شاركنا هذا ؟

ارتجفت شفتاها ، وهى تغمغم :

ــ إنه صاحب الفضل الأوّل ، فى تقديم موعد الهجوم ليلة كاملة ، على أيّة حال .

غمغم :

ــ ولكنه لم يَعُد هنا .

تجمّدت نظراتها لحظة ، وبدا وكأنها ستنفجر باكية ، إلّا أنها لم تلبث أن سيطرت على مشاعرها ، وحملت مدفعها الآلىّ ، وهى تقول فى حزم :

ــ دَعْك من (أدهم) الآن ، ولا تفكّر سوى فى (مصر) ..

ونصبت هامتها ، مستطردة فى صلابة تتعارض مع أنوثتها :

ــ (مصر) وحْدها ..

* * *

استيقظ (فرديناند كال) من نومه مُحنَقًا ، إثر رنين هاتفه الخاصّ ، المجاور لفراشه ، فنهض ساخطًا ، والتقط سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى حَنَق :

— أيًّا كنت يا من تتحدَّث ، أتعشّم أن يكون حديثك بالغ الأهمية والخطورة ، وإلّا أمرت باعتقالك ، و .....

قاطعه المتحدِّث فى حِدّة :

— صَهْ أيها الأحمق .. إنه أنا .. (خوانى) .

ارتفع حاجبا (كال) فى دهشة ، وهو يغمغم :

— (خوانى) ؟!.. أى شيطان أقنعك بالاتصال بى ، فى مثل هذا الوقت ، و .....؟

عاد (خوانى) يقاطعه فى توتُّر :

— لقد فشِل الهجوم .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول فى خشونة :

— أى هجوم ؟.. إننى لست أعلم شيئًا رسميًّا ، و .....

قاطعه (خوانى) مرّة أخرى فى عصبيّة :

— كفَى سخافة يا (كال) .. لقد فشِل الهجوم على القنصليّة المصرية ، ولكن أحد رجالى كشف أمرًا بالغ الخطورة .

اعتدل (كال) ، وهو يسأله فى اهتمام :

— أىّ أمر هذا ؟

أجابه (خوانى) فى انفعال :

— إن المصريين يعدُّون لهجوم رهيب على معتقل (أندريه) .

قفز (كال) من فراشه ، هاتفًا :

— ماذا ؟.. ومتى يحدث ذلك ؟

أجابه (خوانى) فى توتُّر :

— سأرسل لك رجلى بكل التفاصيل ، وعليك أن تذهب على الفور إلى (أندريه) .

هتف (كال) فى حَنَق :

— ولماذا على الفور ؟.. يمكننى أن أبلغه لاسلكيًّا ، باستخدام شفرتنا الخاصّة ، و .....

قاطعه (خوانى) فى عصبيّة :

— كلّا .. اذهب بنفسك ، فلدىّ ما يثير الشكّ فى أن المصريين قد أعدّوا العُدّة لالتقاط كل رسائلنا اللّاسلكية ، ومن المحتمل أنهم قد حلّوا شفرتنا أيضًا .

ازدرد (كال) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

— يا للشيطان !

ثم نهض من فراشه ، مستطردًا :

ـــ حسنًا يا (خوانى) .. سأذهب على الفور .

وأنهى المحادثة ، وهو يُرْدِف فى حزم :

ـــ لن يهزمنا المصريون أبدًا .. أبدًا .

* * *

لم ينبس (مجدى) و (منى) بحرف واحد ، طوال الطريق من القنصلية المصرية إلى حافَة ذلك النهر ، الذى يفصل ما بين أحراش (تاييه) ومدنها ، واستمرَّ صمتهما حتى عَبَرَا جسرًا خشبيًّا صغيرًا ، إلى جانب الأحراش ، فغمغمت (منى) ، وهى تحاول عبثًا الاسترخاء فى مقعدها :

ـــ أمِنَ الحكمة أن نتجه إلى هدفنا فى سيَّارة ، مع اضطرارنا لإيقاد مصابيحها ليلًا ؟

أجابها فى خُفُوت :

ـــ حينما نبلغ أول الدَّرْب ، الذى حدَّدُه (مونو) ، على (الدائرة الجهنمية) ، سنترجَّل ، ونكمل طريقنا سيرًا على الأقدام .

عادا إلى صمتهما مرَّة أخرى ، قبل أن تغمغم (منى) فى حزن :

ـــ تُرى كيف حال (أدهم) الآن ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يجيب :

ـــ أظنُّه سيتجاوز الخطر .

غمغمت :

ـــ أتمنَّى ذلك .

ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، ثم غمغمت :

ـــ كلَّما فكَّرت فيما ينبغى أن نفعله ، قبل شروق الشمس ، سَرَت فى جسدى قُشَعْرِيرَة باردة ، على الرغم منِّى .

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـــ هذا شأنى أيضًا .

ثم أوقف سيَّارته ، والتفت إليها ، قائلًا فى حزم :

ـــ الآن نبدأ رحلتنا على الأقدام ، نحو الأسوار .

وارتجف صوته ، على الرغم منه ، وهو يستطرد :

ـــ (أسوار الجحيم) ..

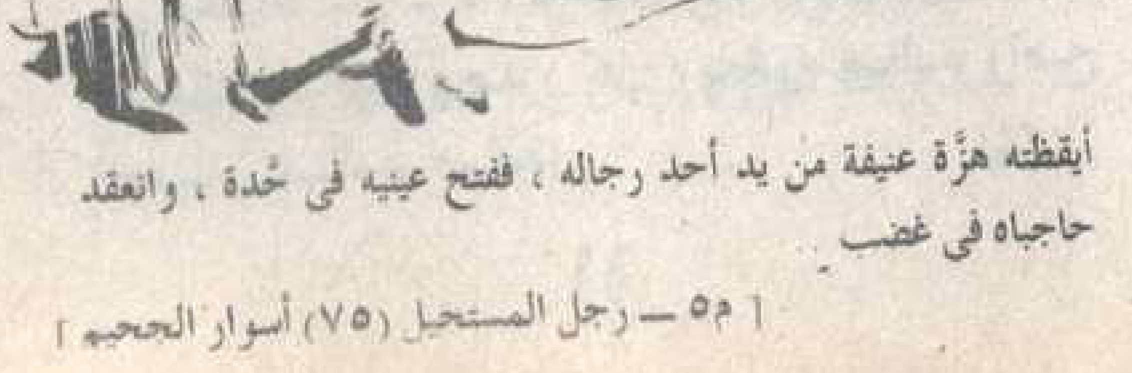
* * *

٧ ــ المعتقل ..

كان الجنرال (أندريه) يغطّ فى نوم عميق ، فى الثالثة صباحًا ، تراوده خلاله أحلام العظمة والمجد ، فيرى نفسه إمبراطورًا فاتحًا ، مثل (الإسكندر الأكبر)(*) يقود جيوشه عَبْرَ الجبال والوديان ، هازمًا أعداءه وفاتحًا الدولة تِلْوَ الدولة ، ومرتديًا خوذة النصر الذهبيَّة اللامعة ..

وفى اللحظة التى بلغت فيها أحلامه ذِرْوَتها ، ورأى نفسه يرفع علمه فوق كوكب الأرض كله ، أيقظته هزَّة عنيفة من يد أحد رجاله ، ففتح عينيه فى حِدَّة ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يصرخ فى وجه الرجل :

(*) الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ــ ٣٢٣ ق.م) : ملك (مقدونيا) ، وتلميذ (أرسطو) ، أخضع الثورات فى المدن الإغريقية ، وانتصر على الفرس ، وأسس مدينة (الإسكندرية) ، تزوّج الأميرة الباكترية (روكسانا) ، وأصيب بالحمّى شابًا ، ومات عام (٣٢٣ ق.م) ، ويعتبر من أعظم القوّاد ، وأبرزهم فى التاريخ .



أيقظته هزَّة عنيفة من يد أحد رجاله ، ففتح عينيه في حدة ، وانعقد حاجباه في غضب

ـــ يا للوقاحة !!.. كيف تجرؤ على إيقاظى ، فى مثل هذا الوقت ، و ..... ؟

قاطعه الرجل فى توتُّر :

ـــ لقد وصل مسيو (كال) يا سيِّدى .

ازداد انعقاد حاجِبَىْ (أندريه) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ (كال) ؟!

ثم تطلَّع إلى ساعته ، وعاد يقول فى حَيْرة :

ـــ ما الذى أتى به ، فى مثل هذا الوقت ؟

صمت لحظة ، محاولاً استنتاج السبب ، الذى يأتى بـ(كال) فى مثل هذا الوقت ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه من الأسهل سؤال (كال) نفسه عن السبب ، فأشار إلى الرجل ، قائلاً فى صرامة :

ـــ اذهب به إلى مكتبى .

انصرف الرجل لتنفيذ الأمر ، على حين نهض (أندريه) ، واتجه صَوْب صِوَان ملابسه ، فأخرج حُلَّته العسكرِيَّة ، وراح يرتديها ، ويحرص على ترتيب أوسمتها فوق صدره ، وتأكَّد من حُسنِ هندامه أمام المرآة ، ثم اتجه فى خطوات عسكرية صارمة نحو مكتبه ، حيث وجد (كال) ينتظره هناك ، واضح العصبيَّة ، فسأله فى صرامة :

ـــ أىّ حدث هام ، جعلك تأتى إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت يا (كال) ؟

أجابه (كال) فى توتُّر :

ـــ المصريون يُعِدُّون لهجوم شامل على معسكرك .

انعقد حاجبا (أندريه) فى شدة ، ثم لم يلبث أن استعاد صرامته ، وهو يقول فى برود :

ـــ دَعْهُم يفعلون .. ستكون هزيمتهم ساحقة .

لوَّح (كال) بذراعه ، قائلاً :

ـــ لا أحد يدرى كم ستبلغ قوتهم يا (أندريه) .

ابتسم (أندريه) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ ليس إلى الحدّ الكافى يا عزيزى (كال) .. أنسيت أن المدينة محاصرة تقريبًا ، فلا يمكن الدخول إليها ، أو الخروج منها ، إلا بأوامرك شخصيًّا ؟

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ هذا صحيح ، ولكن .....

قاطعه (أندريه) فى حزم :

ـــ لا يوجد لكن يا (كال) .. الحروب تسير بالحقائق وحدها .

هزَّ (كال) كتفيه المكتظتين ، وصمت ، فعاد (أندريه) يسأله فى اهتمام :

ــ من أين علمت ذلك ؟

أجابه (كال) فى بساطة .

ــ من (خوالى) ، لقد أرسل لى أحد رجاله ، بتفاصيل خطَّة المصريين .

عاد (أندريه) يسأله فى اهتمام :

ــ ومتى سيشنون هجومهم هذا ؟

أجابه (كال) فى اقتضاب :

ــ غدًا .

ثم لم يلبث أن ابتسم ، مستطردًا :

ــ ولكن هل تعلم .. أننى أميل إلى رأيك ؟.. ستكون هزيمتهم فادحة .

* * *

« هاهو ذا » ..

أشار (مجدى) من مَكْمَنه ، وسط الأحراش الكثيفة ، إلى سور المعتقل الضخم ، وهو يهمس بهذه العبارة ، فأدارت (منى) عينيها فى الأسوار العالية ، وهى تغمغم بدوْرِها :

ــ ياإلٰهى !!.. إنها تبدو مناسبة لمصطلح (أسوار الجحيم) هذا .. لقد بالغ ذلك الوغد (أندريه) فى حماية معتقله ، فصنع أسوارًا مرتفعة للغاية .

غمغم (مجدى) :

ــ ثم إنها مكهْرَبة ، على نحو يكفى لصعق ربع مخلوقات هذه الأحراش فى آن واحد .

عقدت حاجبيها فى شِدَّة ، وهى تعود لتتفرَّس فى المكان ، مغمغمة فى توتُّر :

ــ يبدو أن معنويَّاتى ستنخفض بالفِعْل .. إن تلك الأسوار اللَّعينة تبدو مستحيلة الاختراق بالفِعْل .

هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

ــ من يدرى ؟.. ربَّما .

قالت فى مزيد من التوتُّر :

ــ أتعلم أن الوسيلة الوحيدة ، لاختــراق (أسوار الجحيم) تلك ، هى أن يُقطع التيار الكهربىّ من الداخل ، فيُلغِى كهْرَبَتها ، كما يلغى تلك الأضواء الكاشفة المبهرة ، التى تكشف كل من يقترب منها ؟

ابتسم ، وهو يقول :

— فلندعُ الله (سبحانه وتعالى) إذن ، أن ينقطع التيّار الكهربىّ من الداخل .

تنهّدت ، واسترخت فى مجلسها ، وهى تغمغم :

— نعم .. لسنا نملك سوى الانتظار .. الانتظار وحده ..

* * *

صبّ الجنرال (أندريه) بعضًا من زجاجة شمبانيـــا (لوران) المعتّقة ، التى يفخر بها ، فى كأسين ، ناول إحداهما لـ(كال) ، وهو يقول فى صرامة :

— ما كان ينبغى أبدًا أن توقظنى ، فى مثل هذا الوقت ، من أجل أمر تافه كهذا يا (كال) .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول :

— أىّ أمر إذن يستحق أن أفعل ، ما لم يكن هذا ؟

رشف (أندريه) رشفة من كأسه ، وأغلق عينيه فى تلذّذ ، وهو يقول :

— لا تقلق يا عزيزى (كال) .. المصريون أضعف من أن ينجحوا فى هزيمتنا .. أنسيت أنكم كنتم تحتلون بلادهم يومًا ؟

مطّ (كال) شفتيه ، وهو يقول :

— كلّا .. لم أنس ذلك ، ولعل هذا ما يخيفنى منهم .

ابتسم (أندريه) فى سخرية ، وهو يقول :

— ما الذى يَعْنِيه هذا ؟

أجابه (كال) فى جِدّة :

— إننا لم نعُد نحتلُّ وطنهم .. أتدرك ما يَعْنِيه هذا ؟. إنه يَعْنِى أنه حتى لو انهزم هؤلاء القوم فى جَوْلة ، ولو طويلة ، فهم يفوزون دَوْمًا فى نهاية المباراة .

اتسعت ابتسامة (أندريه) ، وهو يقول :

— مجرّد شعارات يا صديقى .. مجرّد شعارات .

ثم سأله فى اهتمام :

— لماذا لا تتناول كأسك ؟. ألَمْ تَعُد شمبانيا (لوران) المعتّقة تَرُوق لك ؟

أزاح (كال) الكأس جانبًا ، وهو يقول فى حَنَق :

— لم يَعُد أى شىء هنا يرُوق لى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت طرقات ، على باب حجرة مكتب (أندريه) ، فقال هذا الأخير فى رصانة :

— ادخل يا (دى مال) .

دلف (دى مال) إلى الحجرة ، فابتسم (كال) ، وغمغم فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ كيف عرفت أنه (دى مال) ؟

ابتسم (أندريه) فى فخر ، وقال :

ــ القائد الناجح يشعر برجاله جيّدًا .

ثم سأله (دى مال) فى صرامة :

ــ هل أعددْت العُدّة لحملة الفجر ؟

أومأ (دى مال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا سيّدى الجنرال ، سنقوم بتمشيط (الدائرة الجهنمية) كلها ، مع أوّل خيوط الفجر ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى حذاء (كال) فى اهتمام عجيب ، فسأله (أندريه) فى حدّة :

ــ ماذا هناك يا (دى مال) ؟

لم يجبه (دى مال) ، وإنما سأل (كال) فى اهتمام :

ــ ماذا أصاب حذاءك يا مستر (كال) ؟

ابتسم (كال) ، وهو يقول :

ــ لا شىء يا (دى مال) .. ما الذى جعلك تُلقى مثل هذا السؤال ؟

انعقد حاجبا (دى مال)، وهو يقول، مشيرًا إلى الحذاء:

ــ إنه أصغر كثيرًا من مقياسك المعتاد يا مستر (كال) .

ابتسم (كال) فى استخفاف ، وهو يقول :

ــ وما الذى يَعْنيه هذا ؟

غمغم (دى مال) :

ــ أقدام الرجال لا تصغر أبدًا يا مستر (كال) ، وهذا يَعْنى أنك ......

ثم انتزع مسدّسه بغتة ، وصوّبه إليه ، هاتفًا :

ــ إنك لستَ مستر (كال) الحقيقىّ .

وفجأة ، تحرّك (كال) فى رشاقة ومرونة مذهلتين ، لا تتناسبان أبدًا مع بدانته ، وهوَت قبضته على فك (دى مال) كالقنبلة ، وتبدّل صوته على نحو مُذْهِل ، وهو يقول فى سخرية :

ــ صَدَقْتَ أيُها الوغد .

تراجع (أندريه) فى رُعب ، وحدّق فى وجه (كال) فى ذُهُول ، وهو يهتف ، بعد أن رأى مساعده (دى مال) يسقط فاقد الوَعْي :

ــ يا للشيطان !!.. من أنت ؟.. من أنت إذن ؟

أجابه الرجل ، وهو يعتدل ، ويقول فى سخرية :

ــ إن اسمى فى كل الأوساط هو (أدهم) يا جنرال القرود .. (أدهم صبرى) ..

* * *



وهو يهتف ، بعد أن رأى مساعده (دى مال) يسقط فاقد الوعى

ـ يا للشيطان !! من أنت ؟.. من أنت إذن ؟..

٨ ـ الهجـــوم ..

كانت مفاجأة مذهلة بحق ، حتى أن (أندريه) تجمَّد فى مكانه مدة دقيقتين كاملتين ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، الذى راح ينزع عن وجهه ذلك القناع المكتظ ، الذى يحمل وجه (كال) البدين ، وينزع من صدره ومعدته تلك الوسائل الإسفنجية ، التى منحته ذلك المظهر المكتظ ، قبل أن يغمغم (أندريه) فى صوت شديد الشُّحوب :

ـ مستحيل !!.. كيف ؟.. أمكنك ذلك ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عَبْرَ سلسلة طريفة للغاية أيها الوغد .. لقد بدأ الأمر بهجوم غبىّ ، على مبنى القنصلية المصرية ، أعدَّه زميلكم اليونانىّ الجنسيَّة ، اليهودىّ الديانة (خوانى كيرليوس) ، هادفًا إلى قتلى وقتل (خالد) ، لدفن سِرُّكم فى صدرينا ، ولكننى ورجال الأمن فى القنصلية ، ورفيقىَّ (منى) و (مجدى) ، كشفنا أمر ذلك الهجوم ، فقمنا بترتيب رجال صديقك (خوانى) ، وتقسيمهم إلى ثلاث فئات : فئة محطَّمة

الأنوف ، وأخرى فاقدة لبعض أسنانها ، والفئة الثالثة فاقدة الوعى .. وبعدها تنكَّرت أنا فى زىّ أحد رجال (خوانى) ، وذهبت لزيارة هذا الأخير فى مكتبه ، وأقنعته بأن يطلب من (كال) الحضور إلى هنا على الفور ، وبعدها كشفت له شخصيَّتى .

أطلق ضحكة عابثة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

— أصْدُقُك القولَ : إن المسكين قد أصيب بحالة من الهَلَع الشديد ، وأسرع يستدعى حارسه الضخم ، المفتول العضلات (كوياكوس) ، مما اضطرنى إلى تحطيم أنف هذا الأخير وأسنانه ، ثم أفقدت صديقك (خوانى) وعيه ، وعبثت بخزانته الخاصَّة قليلًا ، حتى استخلصت من محتوياتها عددًا من الوثائق البالغة الخطورة ، التى تكفى لإلقائه مع خنزيركم القذر (فرديناند كال) فى أعماق السُّجون ، وأرسلت تلك الوثائق إلى الإدارة الحاكمة للجزيرة ، ثم ذهبت لزيارة (كال) .

استند (أندريه) إلى الحائط فى رُعب ، وهو يستمع إلى (أدهم) ، الذى تابع بنفس اللهجة الساخرة :

— ولقد كان (كال) ، والحقُّ يقال ، أكثر الجميع تعاونًا ، فلم أكد أكشف له عن شخصيتى ، حتى جثا على

ركبتيه طالبًا العفو ، وراحت المعلومات تنهال من بين شفتيه فى غزارة ، جعلتنى أُفكِّر فى استئجار سكرتيرتين نشطتين ، لتدوين كل ذلك فى عدد من المجلَّدات الضخمة ، لولا ضيق الوقت ، الذى اضطرنى لتحطيم أسنانه ، وصنع قناع لوجهه ، جعلنى أنجح ، بالإضافة إلى معرفتى كلمة السِّر ، التى أخبرنى بها هو ، فى الوصول إليك ، متجاوزًا أسوار جحيمك بكل احترام وتوقير ، وبكل مساعدة ممكنة من رجالك .

ازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :

— ويمكنك أن تقول على الرغم من كل هذا ، إن هجوم (خوانى) كان ناجحًا للغاية ، فقد جعلنا نقلب خطتنا رأسًا على عَقِب ، ونقرِّر الهجوم على معتقلك الشيطانىّ هذا الليلة ، بدلًا من الانتظار للغد .

غمغم (أندريه) فى لهجة شاحبة مختنقة :

— إنك لن تخرج من هنا حيًّا .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— فلنؤجِّل ذلك الجزم لما بَعْد ، فصديقاى ينتظران خارج أسوارك ، حتى أحطِّم المولِّد الكهربىّ ، ليقتحما (أسوار الجحيم) ، ويعيثا فسادا فى معتقلك.

ضغط (أندريه) أسنانه فى غيظ ، وهو يهتف :

— هذا مستحيل !

ثم تألقت عيناه فجأة ببريق وحشىّ ، وهو يستطرد :

— قلت مستحيل !!

وفجأة ، شعر (أدهم) بساعد قوى يطوّق عُنقه من الخلف ..

لقد كان (دى مال) قد استعاد وَعْيه ..

* * *

أطلق (أندريه) ضحكة شيطانية عجيبة ، ارتجّت لها أركان المكان ، وهو يراقب مساعده (دى مال) ، الذى أحاط عنق (أدهم) بساعده فى قوّة ، وهتف فى ظَفر وشماتة :

— مستحيل أيها المصرىّ !! لن يمكنك هزيمة (أندريه) ورجاله أبدًا .

ولكن شماتته سرعان ما خفتت فى سرعة ، وتلاشت ضحكته ، واتسعت عيناه فى ذُعر وذُهول ، حينما شاهد (أدهم) ينثنى فى مرونة مُذهلة ، ثم يدفع مرفقه إلى الخلف ، فى صدر (دى مال) ، ويمدّ يده الأخرى إلى الخلف فى سرعة ورشاقة ، فيقبض على عنق هذا الأخير ، ويميل بجسده كله إلى الأمام ، فيلقيه على ظهره فى قوّة ..

ولكن (دى مال) استعاد توازنه فى سرعة قياسيّة ، ووقف على قدميه ، إلا أن (أدهم) قفز قفزة رائعة ، وركل (دى مال) فى وجهه وصدره ، ثم هبط على قدميه ، وكال لهذا الأخير لكمة كالقنبلة فى معدته ، وأخرى ساحقة فى فكّه ، فأسقطه مجندلًا ، والدماء تنزف من أنفه وفمه فى غزارة ، ثم التفت إلى (أندريه) ، وابتسم فى سخرية ، قائلًا :

— والآن يا مسيو (أندريه) ، ماذا كنت تقول بشأن هزيمتك ؟

تراجع (أندريه) فى ذُعر ، وهو يهتف :

— كلّا .. لن أسمح لك .. لن أسمح لك .

وفى سرعة ، انتزع مسدّسه ، وصوّبه نحو (أدهم) ، صارخًا :

— لن تنتصر أبدًا .

وانطلقت رصاصته ..

* * *

من الطبيعى أن رجل جيش سابق ، مثل الجنـرال (أندريه) ، يجيد التصويب وإطلاق النار ، ولكن من غير الطبيعى أن ينجح فى إصابة هدف مثل (أدهم صبرى) ..

هذا لأن (أدهم صبرى) ليس هدفًا متحرّكًا فحسب ..

إنه هدف مفكِّر ، ومَرِن ، وقوىّ ..

لقد انطلقت رصاصة (أندريه) نحو الهدف بالضبط ، ولكن الهدف نفسه لم ينتظر الرصاصة ، وإنما مال ، وانحنى ، وانثنى ، وقفز ، ودار ، وفى النهاية ركل مسدَّس (أندريه) ركلة مباشرة ، أطاحت بالمسدَّس بعيدًا ، وهبط على قدميه ليلكم (أندريه) نفسه لكمة قويَّة ، ألقت هذا الأخير ثلاثة أمتار إلى الخلف ، فسقطَ فوق مكتبه ، وهو يصرخ :

— أيها اللَّعين !! أيها المصرىّ اللَّعين ..

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، وانقلبت سِحنته فى عنف ، وهو يصرخ :

— ولكنك لن تنتصر .. لن تنتصر أبدًا .

وبسرعة ، ضغط زرًّا فوق مكتبه ، وانطلقت صفارات الإنذار تشقُّ السُّكون ، فى كل ركن من أركان (المعقل الرَّهيب) ..

لقد أعلن الرجل التعبئة العامَّة ..

وأعلن الحرب ..

* * *

٩ — انفجــار ..

ارتجف جسد (منى) فى قوّة ، حينما دوَّت صفَّارات الإنذار فى كل مكان ، وهتفت فى ارتياع ، وهى تقبض على مِدفعها فى عنف :

— يا إلهى !! لقد كشفوا أمر (أدهم) .. لقد كشفوا أمره .

قفزت من مكانها ، حاملة مدفعها الآلىّ ، تهمّ بالهجوم على (أسوار الجحيم) ، لولا أن أمسكها (مجدى) فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

— مهلًا .. إننا لن نغادر موقعنا بعد .

صاحت به فى غضب :

— اتركنى .. إنه يحتاج إلى معاونتنا .. اتركنى .

صاح بها فى حزم :

— (أدهم) لم ولن يحتاج إلى عون أبدًا .

ارتجَّ عقلها لعبارته ، وانهارت جالسة ، وهى تردِّد فى ارتياع :

ـ هل تعنى أننا لن نتدخل لإنقاذه ؟

أجابها فى حزم :

ـ هذا لا يدخل ضمن الخطة ، ثم إنَّ خروجنا من مخبئنا ، فى ظل هذه الظروف ، تحت فيض الأضواء الكاشفة ، وحالة الطوارئ هذه ، لن يَعْنى سوى نهاية واحدة حتميَّة .. مصرعنا .

هتفت :

ـ و (أدهم) ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ إنه يعلم كيف يَرْعى شئون نفسه .

واختلج صوته ، على الرغم منه ؛ ليفضح حقيقة مشاعره ، وهو يُرْدِف :

ـ لسنا نملك سوى أن ندْعُوَ له بالنجاة .. هذا كل ما نملِكُه له الآن .

* * *

لم يشعر (أدهم) بفارق كبير ، حينما دوَّت صفَّارات الإنذار ، فقد أدرك منذ انطلقت رصاصة (أندريه) ، ودَوَّت كالقنبلة وسط السُّكون ، أنه وفريقه قد فقدوا عنصر المفاجأة ، وأنه لم يعُد هناك مفرٌّ من الحرب المباشرة ..

وبقفزة رائعة ، بلغ موضع (أندريه) ، وحطَّم أنفه بلكمة ساحقة ، وهو يقول :

ـ ليس المهم أن ننتصر أيها الوغد .. المهم أن نحاول .

ثم تحوَّل إلى (دى مال) ، ونزع عنه سترته العسكرية ، وارتداها فى سرعة ، وحمل مدفع (دى مال) الآلىّ ، وارتدى قُبَّعته ، ثم دفع باب حجرة (أندريه) ، واندفع خارجها ..

كانت الورقة الوحيدة الباقية له ، والتى يحاول أن يفيد منها بقدر الإمكان ، هى أن رجال (أندريه) لن يتوقَّعوا أبدًا أن يأتيهم الهجوم من الداخل ، وإنما سيركِّزون كل جهودهم على كشف هجوم خارجىّ ، كان السبب فى إطلاق صفَّارات الإنذار ..

وكانت رصاصة (أندريه) قد جذبت انتباه البعض بالفعل ، ولكنهم ظنُّوها مجرَّد إشارة إنذار أخرى من قائدهم ، ولم يتصوَّر أحدهم أبدًا ، كما توقَّع (أدهم) ، أن يكون الخطر داخل (أسوار الجحيم) ، وليس خارجها ..

وبسرعة كبيرة ، اتجه (أدهم) نحو مولِّد الكهرباء فى المعسكر ، ولكنه لم يكد يصل إليه ، حتى اعترضه حرَّاس المولِّد الأربعة ، وقال له أحدهم فى خشونة :



وحمل مدفع (دى مال) الآلى ، وارتدى قُبعته ، ثم دفع باب حجرة (أندريه) ، واندفع خارجها ..

ــ ما الذى تفعله هنا ؟.. انضمّ إلى فرقتك ، استعدادًا لصدّ ذلك الهجوم .

أجابه (أدهم) ، وهو يواصل اقترابه منهم :

ــ لا عليك .. يبدو أنه إنذار زائف ، فحرّاس الأسوار لم يروا أىّ مهاجمين .

شهرَ الحرّاس الأربعة مدافعهم فى وجهه ، وقال قائدهم فى صرامة :

ــ قلت لك ابتعد .

ولم يكن هناك مفرٌّ من القتال العلنىّ المباشر ..

* * *

من المؤكّد أن (أدهم صبرى) يكره القتلَ ..

إنه يبغضه بُغضًا يفُوق بُغضه لكل الموبقات الأخرى فى الدنيا ..

ربّما لأنه لا يقتنع أبدًا بأن يزهق مخلوق روح مخلوق آخر ، ما دام لا يملك يدًا فى حصوله عليها ..

ولكن كراهيته للقتل ، كانت مشروطة بعبارة حاسمة ..

إلّا عند الضرورة ..

وأيّة ضرورة تلك التى تفوق إنقاذ وطنه من دمار اقتصادىّ محتوم ؟..

أيّة ضرورة تفوق دفاعه عن روحه هو ، فى قضية عادلة ؟.

لقد شهرَ الحرّاس الأربعة مدافعهم فى وجهه ، ولكنهم فوجئوا به يتحرّك فى سرعة مُذْهِلة ، لم تنجح عيونهم فى التقاطها ، حتى كانت رصاصات مدفعه تحصدهم حصدًا ..

وهنا فقط أدرك رجال (أندريه) أنهم يقاتلون عدوًّا داخل أسوارهم ..

وهنا فقط استدارت فُوّهات مدافعهم إليه ..

وبكل عنفوانه وقوّته وإصراره ، اقتحم (أدهم) حجرة المولّد ..

وبكل جسارته وعناده ، انتزع كل القنابل اليدوية ، المعلّقة فى أحزمة الحرّاس الأربعة ، ونزع فتائلها ، وألقاها نحو المولّد الضخم ، ثم تراجع ، واندفع نحو رجال (أندريه) مطلقًا رصاصات مدفعه فى سخاء .

وأدرك أحد الرجال ما يهدف إليه (أدهم) ، فصرخ فى ذُعْر :

ـ المولّد .. أسرعوا قبل أن نفقد مصدر قوتنا .

اندفع عشرات الرجال نحو المولّد ، على حين راح الآخرون يمطرون (أدهم) برصاصاتهم ..

وشعر (أدهم) برصاصة تخترق ذراعه اليسرى ..

وشعر بأخرى تغوص فى لحم ساقه اليمنى ..

ولكنه لم يتوقّف .

واصل إطلاق النيران فى إصرار فولاذىّ رهيب ..

إصرار يستحيل أن يملكه بشر ..

إصرار رجل يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

وفجأة ، دوّى الانفجار الرهيب ..

انفجار أطاح بالمولّد الكهربىّ كله ، وأغرق المكان كله فى ظلام دامس ..

انفجار ألقى (أدهم) أرضًا ، وأسقط مدفعه ..

وقبل أن تمتد يد (أدهم) لالتقاط مدفعه ..

قبل أن يعاود القتال ، رأى عشرة مدافع مصوّبة إليه ، وسمع قائد أصحاب هذه المدافع العشرة يهتف :

ـ أطلقوا النار .

وبدا أنها النهاية ..

* * *

١٠ ـ اقتحـام ..

أدرك (أدهم) فى تلك اللحظة بالذات ، أن نهايته قد أتت ولا ريب ، فهـا هو ذا تحت رحمة أعدائـه ، بذراع يُسرى مصابة ، وساق يُمنى جريحة ، ودون سلاحه ، والأعداء يحيطون به من كل جانب ..

بدت له النجاة مستحيلة حقًّا هذه المرّة ..

وأنه يحتاج إلى معجزة ..

والعجيب أنه قد حصل عليها ..

حصل على المعجزة ..

كانت أصابع الرجال العشرة تستعد للضغط على أزندة المدافع ، حينما دوَّت عدة انفجارات قويَّة خلفهم ، أجبرتهم على الالتفات على نحو غريزىّ ..

كان (مجدى) و (منى) يقتحمان السُّور ، وينسفان أبراج المراقبة فى مبادرة انتحارية رائعة ..

وفى ذلك الجزء من الثانية ، الذى استدارت فيه الرءوس ، بعيدًا عن (أدهم) ، حدثت المعجزة ..

لقد قفز ، على الرغم من جراحه ، قفزة رائعة ، والتقط مدفعه ، وحصد الرجال العشرة برصاصاته ، ثم نهض واقفًا على قدميه ، محتملًا آلامه ، وراح يطلق النيران فى غزارة ، معاونًا رفيقيه على اقتحام (أسوار الجحيم) ..

واختلط الحابل بالنابل فى أرض المعركة ..

كان الظلام الدامس قد حلَّ بتفجير المولِّد ، والرصاصات تنطلق فى كل الاتجاهات ، حتى لم يَعُد أحد يعلم أين الصديق ، وأين العدوّ ..

ووسط ذلك التخبُّط ، تصوَّر رجال (أندريه) أنهم يقاتلون آلاف الخصوم ، فملأ قلوبهم الهلَع ، وراحـوا يتراجعون فى ذُعر ، ويُسْرِفون فى استنفاد ذخيرتهم فى توتُّر وعصبيَّة ..

وبخُطَّة مسبَّقة ، لم يكد (مجدى) و (منى) يتجاوزان (أسوار الجحيم) ، حتى اتجها نحو مطبعة أوراق النقد ، وهما يحملان حقيبتين كبيرتين ..

ولم يكن اقتحام المطبعة سهلًا ، على الرغم من أن (أدهم) قد انضمَّ إليهما ، فقد استبسل حرَّاسها فى الدفاع عنها ، قبل أن ينجح أبطالنا الثلاثة فى اقتحامها ، وهناك هتفت (منى) فى جَزَع :

— (أدهم) .. إنك مصاب .

هتف بها (أدهم) :

— دعْكِ من هذا يا عزيزتى .. فلنقم بعملنا أوّلا .

تجاهلت مرغمة إصاباته ، كما يتجاهلها هو ، وراح الثلاثة يفرغون محتويات الحقيبتين ، من القنابل ، ويوزّعونها فى أنحاء المطبعة ، ثم هتف (مجدى) وهو يلهث :

— كل شىء على مايرام .. ما إن نغادر تلك المطبعة اللّعينة ، حتى ننسفها نسفًا ، بضغطة صغيرة على ذلك المفجّر الآلىّ .

قال هذا ، وأشار إلى جسم صغير ، أشبه بالقدّاحة ، يستقرُّ فى راحته ، ولم يكد يفعل حتى دوّى صوت (أندريه) ، عبْرَ مكبّرات الصوت ، وهو يقول فى غضب وصرامة :

— استسلموا أيها المصريون .. نحن نعلم أنكم داخل المطبعة ، ونحن نحاصرها بكل ما تبقى من رجالنا .. استسلموا أو نحيل المكان إلى جحيم حقيقى ، وهذا هو الإنذار الأوّل والأخير .

* * *

هتف (مجدى) فى توتُّر ، حينما سمع ذلك الهُتاف :

— ياللْوغد !!.. إنه لن يجرؤ على نسف المطبعة ، بكل ماتحويه من تلك الأوراق الخاصّة ، المستخدمة لطباعة النقد .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح .. مالم ......

هبَّ من مكانه بغتة ، واندفع نحو رواق ضخم ، وتوقّف أمامه لحظات ، ثم هتف فى حَنَق :

— اللّعنة !!

سألته (منى) فى توتُّر :

— ماذا هناك ؟

أجابها فى غضب :

— لاتوجد هنا سوى بكرة أوراق واحدة ، على حين استولى هؤلاء الأوغاد على مايقرب من ألف بكرة .

سألته فى جزع :

— أين البقية إذن ؟

عقد حاجبيه مفكّرًا ، ثم قال فى حزم :

— فى ڤيلّا (أندريه) .

هتف (مجدى) فى جَزَع :

ـ يا إلهى !!.. كل هذا المجهود ، ثم نفشل فى النهاية !
صاح به (أدهم) فى غضب :
ـ إننا لم نفشل بعد .
ثم أشار إلى نافذة قريبة ، وقال :
ـ اسمع .. لابُدَّ من وصولنا إلى الفيلّا ، وتدمير كل مخزون الأوراق فيها ، وعليك حمايتنا ، وافتعال ضجة تكفى لجذب انتباههم جميعًا .
سأله (مجدى) فى قلق :
ـ أتظن أنه يمكنك أن تعْدوَ ، بساق مصابة ؟
أجابه (أدهم) فى حزم واقتضاب :
ـ نعم .
ثم اقترب مع (منى) من بابٍ خلفىٍّ صغير ، وقال :
ـ الآن ..
لم يكد يتمُّ عبارته حتَّى أخذ (مجدى) يطلق رصاصات مدفعه فى غزارة ، على حين اندفع (أدهم) و (منى) عَبْرَ الباب الخلفىِّ ، وانطلقت رصاصات مدفعيهما أيضًا ، وهما يركضان نحو الفيـلّا ، تلاحقهمـا رصاصات رجـال (أندريه) ..

وفجأة ، شعرت (منى) بعمود من النار يخترق ظهرها ، فصرخت فى ألم :
ـ (أدهم) .
ثم سقطت على وجهها ، فتوقَّف (أدهم) ، واستدار إليها صارخًا :
ـ (مُنى) .. كلَّا ..
انهالت عليه الرصاصات كالمطر ، فتراجع وهو يصرخ فى ألم ومرارة :
ـ أيُّها الأوغاد !!
لم يكن يدرى ماذا أصاب (منى) بالضبط ، ولكنه كان يدرك تمامًا أنه لا يحقُّ له أن يتوقَّف أو يتراجع أبدًا .. مهما كانت الأسباب ، ومهما كانت التضحيات ..
لأنه لا يقاتل من أجل (منى) ..
ولا حتى من أجل نفسه ..
بل من أجل (مصر) ..
وكان هذا وحده يكفى ، لأن يتخلَّى (أدهم) عن جسد (منى) ، ويندفع إلى داخل الفيلّا ، ويهبط إلى مخزنها ، مزيحًا كل من اعترض طريقه من رجال (أندريه) ، حتى وجد نفسه أمام مخزون الأوراق ..

وبسرعة ، أشعل (أدهم) النيران فى الأوراق ، وتراجع وهو يراقبها تشتعل ..

وتشتعل ..

وتشتعل ..

* * *

لم يدر (أندريه) ما الذى يحدث بمخزون الأوراق فى تلك اللحظة ، فقد اختلط عليه الأمر ، وتصوَّر من غزارة النيران ، التى يطلقها (مجدى) ، أن هذا الأخير هو (أدهم صبرى) ، فحثَّ رجاله على مبادلته إطلاق النيران فى شراسة ، وهو يصرخ فى جُنُون :

ـ لن ينتصر .. لن ينتصر أبدًا .

وما هى إلَّا لحظات ، حتى نَفِدَت ذخيرة (مجدى) ، فأسرع ينتزع خزانة مدفعه ، ويضع بدلًا منها أخرى مملوءَة ، وهو يغمغم :

ـ أسرع يا (أدهم) ، فلن يمكننى الصمود طويلًا ، أمام هؤلاء الـ .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اقتحم رجال (أندريه) المطبعة فى ضجة هائلة ، وصوَّبوا أسلحتهم إلى (مجدى) ، الذى تجمَّد فى مكانه لحظة ، ثم ألقى مدفعه الآلىّ ، وهو يقول فى حَنَق :



وبسرعة ، أشعل (أدهم) النيران فى الأوراق ، وتراجع وهو يراقبها تشتعل .. وتشتعل ..

ـ حسنًا أيها الأوغاد .. إننى أستسلم .

اخترق (أندريه) صفوف رجاله ، ولم يكد بصره يقع على (مجدى) ، حتى أخذته الدهشة ، فهتف :

ـ من أنت ؟.. وأين (أدهم صبرى) ؟

أجابه (مجدى) فى حِدَّة :

ـ لقد ذهب إلى فيلتك .

هتف (أندريه) فى جَزَع :

ـ إلى فيلتى ؟!.. لماذا ؟

أجاب (مجدى) فى شماتة :

ـ ليحرق مخزون الأوراق .. كله .

تراجع (أندريه) فى ذُعر ، ثم لم يلبث أن هتف فى رجاله :

ـ أسرعوا يا رجال .. ينبغى منعه بأى ثمن .

نعم .. ينبغى منعه ..

نفس العبارة دَوَّت فى عقل (مجدى) فى شِدَّة ، ولكن فى اتجاه شخص آخر ..

كان ينبغى عليه أن يمنع (أندريه) ورجاله من إحباط خطَّة (أدهم) ..

مهما كان الثمن ..

نعم .. مهما كان الثمن ..

وبكل ما يملأ صدره من قوّة ، صرخ (مجدى) :

ـ أيها الوغد (أندريه) .

استدار إليه (أندريه) ورجاله فى دهشة ، وتراجعوا فى رُعب ، حينما رأوه يضغط جهازًا صغيرًا فى راحته ، يشبه القدّاحة العاديَّة ..

ثم دَوَّى انفجار رهيب ، لم تسمع أحراش (تايوان) مثله أبدًا ..

* * *



١١ ـ الختام ..

نهض مدير المخابرات المصرية من خلف مكتبه ؛ ليصافح وزير الخارجية ، الذى هتف فى انفعال :

ـ أرأيت ماذا حدث ؟.. أرأيت كيف أنهى رجالك المهمّة ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يصافحه ، قائلاً :

ـ كيف بلغك الأمر ؟

هتف وزير الخارجية فى سعادة :

ـ إنه لم يبلغنى بالطريق الرسمىّ ، وهذا أروع ما فى الأمر .. لقد قرأت خبر انفجار معتقل الجنرال (أندريه) ، وسقوط شبكة إجرامية يرأسها (فرديناند كال) حاكم (تايه) ، وبعضوية (خوانى كيرليوس) ، الاقتصادىّ اليهودىّ اليونانىّ المعروف ، و (هنرى كلارك) ، رجل المخابرات الأمريكى السابق ، الذى لقىَ مصرعه ، والجنرال (أندريه دى فال) ، الذى قُتِلَ فى انفجار معتقله ، ولقد أثارنى الخبر فى شِدّة ، فأرسلت إلى قنصلنا فى (تايوان) ، أسأله مَزيدًا من التفاصيل ، وأفادنى بأن .....

أكمل مدير المخابرات فى هدوء :

ـ بأن الملحق العسكرىّ المصرىّ هناك ، قد استشهد ، بعد أن كبّد رجال المعتقل خسائر فادحة ، وبعد أن تسبّب فى مقتل الجنرال (أندريه) ، وأنّ (أدهم) قد عاد إلى القنصلية مع الفجر ، فى حالة يُرثَى لها ، بعد أن فقد الكثير من دمائه ، وكانت معه (منى) مصابة برصاصة فى ظهرها ، اخترقت رئتها اليسرى ، وكادت تنفذ إلى القلب ، لولا ارتطامها بحافة الضلع الرابع ، وأن الثلاثة قد نجحوا فى تدمير المنظمة الاقتصاديّة تمامًا .

فغر وزير الخارجية فاه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، قائلاً :

ـ رائع .. إنكم تعلمون دوْمًا كل شىء ..

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حماس :

ـ أروع ما فى الأمر هو أنهم قد فعلوا ذلك ، دون أن يشعر مخلوق واحد بصلة (مصر) بالأمر ، وهذا يَعْنى أننا لن نواجه أيّة متاعب ديلوماسية .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أهذا كل ما يعنيك يا سيادة الوزير ؟

هتف الوزير :

ـ بالطبع .

قال مدير المخابرات فى حِدّة :

ــ وماذا عن إصاباتنا نحن ؟.. إن إصابات (أدهم) بالغة ، حتى أننا قد أرسلنا طائرة طبّية خاصّة لإحضاره ، وسيحتاج إلى شهر كامل على الأقل ، قبل أن يمكنه العودة إلى وظيفة إداريّة هنا ، أمّا (منى) فهناك احتمال أن تؤدّى إصابتها إلى عجز دائم ، يمنعها بدَوْرِها من العمل ، ولست أقصد الأعمال الإدارية بالطبع .. أضف إلى هذا استشهاد ملحقكم العسكرىّ .

احتقن وجه الوزير ، وهو يغمغم :

ــ لقد كانوا يتقاضَوْن أجورهم من أجل هذا .. أليس كذلك ؟

هتف مدير المخابرات فى استنكار :

ــ أجورهم ؟!

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى شدّة ، وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يضيف :

ــ إن ما يتقاضونه أعظم كثيرًا من الأجور المادّيّة يا سيادة الوزير .

والتفت إليه ، مستطردًا فى حزم :

ــ إنه امتنان وحبّ هذا الوطن .. ويا له من فخر !!

[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. نبيل فاروق

أسوار الجحيم

- تُرى هل ينجو (أدهم صبرى)، ويواصل قتاله ضِدّ شياطين (تايوان) ؟
- كيف يمكن اختراق (أسوار الجحيم)، التى تحيط بمعتقل الجنرال (أندريه) الرهيب ؟
- أينتهى الأمر بنصر جديد لـ (أدهم) و (منى) هذه المرّة، أم تنتصر (أسوار الجحيم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) ..

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة





الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : النهر الأسود